www.SID.ir

سمات الأدب الواقعی فی شعر نزار قبانی السیاسی

حسین شمس آبادی*
مهدی شاهرخ**
أصغر مولوی نافچی***

الملخص

نزار قبانی شاعر کبیر بین الشعراء المعاصرین الذی اشتهر بشعر المرأة وشعره السیاسی. لکننا نجد فی شعره السیاسی بعض السمات الخاصة القریبة من الأدب الواقعی. فمن المعلوم بأنّ لجغرافیا الوطن العربی، ولعاداته، ودینه، وسننه، وأفکار أفراد مجتمعه تأثیرات خاصّة علی المذهب الواقعی و هذا لأنّ مهمّة الأدب الواقعی تصویر واقع المجتمعات وبما أنّ واقع العالم العربی یختلف عن الواقع الأوروبی، فهناک اختلافات بینهما ولکنّ هذا لا یعنی بأنّه مختلف تماماً عن نظیره الغربی بل فضلا عن سمات اجتماعیّة الأدب، اتّسمت الواقعیّة العربیّة ببعض السمات المحلیّة والمناسبة للأدب العربی.

وهذا ما بعث الباحثین علی کتابة هذه المقالة التی تستهدف أن تظهر الواقعیة الأدبیة فی شعر نزار قبانی السیاسی وتثبته مستخدمة سمات هذا المکتب الأدبی الفنیة.

الکلمات الدلیلیة: الأدب العربی، المذاهب، الواقعی، نزار قبانی، الشعر السیاسی.

*. أستاذ مشارک بجامعة تربیت معلم سبزوار (دانشیار دانشگاه تربیت معلم سبزوار).
**. مدرس بجامعة تربیت معلم سبزوار (مدرس دانشگاه تربیت معلم سبزوار).
***. عضو هیأة التدریس بجامعة تربیت معلم سبزوار (عضو هیأت علمی دانشگاه تربیت معلم سبزوار).

تاریخ الوصول: ۱۳۸۸/۲/۲۸هـ . ش تاریخ القبول: ۱۳۸۸/۵/۱۸هـ . ش

www.SID.ir

www.SID.ir

المقدمة

الاتّجاه الواقعی فی العالم العربی

أعانت ظروف ما بعد الحرب العالميّة الثانيّة فی العالم العربی علی إحداث تغيير فی الخطّ الفكری الّذی يسير فيه الأدب و أهمّ تلک الظروف إحساس الجماهير بحاجتها إلی نوع جديد من الحياة بعد معاينتها لأهوال الحرب الّتی اكتوت بها كلّ الشعوب سواء أكانت محاربة أو غير محاربة وتناولت هذه الرغبة فی تغيير الحياة السياسيّة، والاقتصاديّة، والاجتماعيّة، والفكريّة علی حدّ سواء وقد كان لالتقاء القوی الشيوعيّة مع القوی الرأسماليّة فی العالم العربی فی تعاون كامل للوقوف أمام النازيّة والفاشيّة أو الدكتاتوريّة العسكريّة بصفة عامّة الّتی تريد فرض سيادتها علی العالم عن طريق فلسفة نقاء الجنس والاستعلاء علی الشعوب، أثر بالغ فی تقبّل أعداد من الناس فی كلّ مكان للفكر الاشتراكی باعتباره نافذة جديدة يطلّون منها علی الحياة بعد أن كانت مغلقة فی وجوههم وخاصّة فی العالم العربی الّذی كان مجرّد التلفّظ فيه بكلمة الشيوعيّة أو الاشتراكيّة جريمة كبری تستحقّ أقسی العقاب بغضّ النظر عن طبيعة هذا الفكر المذهبی وتعارضه مع الفكر الإسلامی بل مع الطبيعة الإنسانيّة.

كذلک أعطت الحرب العالميّة الثانية للشعوب المغلوبة علی أمرها أملاً جديداً فی الاستقلال والتطلّع إلی الحريّة بعيداً عن أطماع العالمين الشرقی والغربی وكان ذلک هو السبيل الّذی مهّد فيها بعد لقيام كتلة العالم الثالث فيما يسمّی بلغة السياسة للتعبير عن وجود اتّحاد من الدول الّتی نالت حريّتها تباعاً منذ انتهاء الحرب العالميّة الثانيّة والّتی تجنّبت الانضمام إلی أحد المعسكرين الرئيسين فی العالم حتی لا تصبح ذيلاً من جديد تحرّكه الدول الكبری ومن أجل ذلک كثرت الانتفاضات الثوريّة فی العالم العربی محاولة الخلاص من ربقة الاستعمار وحدثت تحوّلات رئيسيّة فيه بتغيير بعض أنظمة الحكم وبوقوع مأساة فلسطين وبدأت ثمرات الفكر الاشتراكی تدخل بعض المجتمعات العربيّة لتتيح فرصة الموازنة بين هذا الفكر الاشتراكی الجديد وبين الفكر الغربی الّذی عرفه العالم العربی منذ فترة طويلة كذلک تأثّر العالم العربی بذلک الفيض الزاخر من المذاهب

www.SID.ir

www.SID.ir

الأدبیّة المختلفة الّتی زالت دواعی وجودها منذ زمن بعید فی أوروبا ولکن تأخّر زوال تلک الدواعی فی العالم العربی إلی ما بعد الحرب العالمیّة الثانیّة. (مندور، لاتا: ۲۴۳) وکان طبیعیّاً أن ینفر الجیل الجدید من الشعراء من الانکبات علی القضایا الذاتیّة والتغنّی بالعواطف الفردیّة الوجدانیّة ولم یقنعهم التجدید الجزئی الّذی أحدثه الرومنسیون فی بناء القصیدة العربیّة وفی مضمونها وقد آمنوا بأنّ الشعر العربی لم یعد قادراً علی تقدیم مضمون جدید مع ارتباطه بالطرق التقلیدیّة فی الواقعیّة إلی التخلّی عن الذاتیّة الّتی کانت لبّ الاتّجاه الرومانسی وإحلال الموضوعیّة فی الخلق الأدبی محلّها کما دعت الشعراء إلی ملاحظة صور الأشیاء الخارجة عن نطاق الذات واختیار مادّة تجاربهم من مشکلات عصرهم الاجتماعیّة.

أهمّ السمات الفنّیة الخاصّة للشعر الواقعی العربی

من المعلوم بأنّ لجغرافیا الوطن العربی، ولعاداته، ودینه، وسننه، وأفکار أفراد مجتمعه تأثیرات خاصّة علی المذهب الواقعی وهذا لأنّ مهمّة الأدب الواقعی تصویر واقع المجتمعات وبما أنّ واقع العالم العربی یختلف عن الواقع الأوروبی هناک اختلافات بینهما ولکنّ هذا لا یعنی بأنّه مختلف تماماً عن نظیره الغربی بل رغم قبول خصوصیّات وسمات اجتماعیّة الأدب، اتّسمت الواقعیّة العربیّة ببعض السمات المحلیّة والمناسبة للأدب العربی. (مرزوق، ۱۹۸۲م: ۳۹ـ۴۵) فیما یأتی نذکر بعض التأثیرات الّتی أدخلتها الواقعیّة علی الأدب العربی:

ـ اتّجه الشعراء إلی الحیاة العامّة حولهم یصوّرون هموم الناس ومشکلاتهم وتطلعاتهم بعد أن تخلّصوا من سیطرة الرومانسیة علیهم. فإنّ الاتّجاه الواقعی فی الشعر العربی یدور حول أوضاع اجتماعیّة واقتصادیّة وسیاسیّة ورؤیة نفسیة متّزنة وقد اتّجه اهتمام الشعراء الواقعیین بالطبقات الدنیا یصوّرون مشکلاتها وقضایاها ومن الطبیعی أن تختلف رؤیة الحزن عند الواقعیین عن حزن الرومانسیین. (خفاجی، ۱۹۹۲م: ۲۰۱)

ـ یکثر الشعراء الواقعیون الحدیث عن المدینة والتذمّر من أحوالها فهی تمثّل من

www.SID.ir

www.SID.ir

أحوالها فهی تمثّل لهم رمز المدينة الحديثة بكلّ مساوئها ولهذا فهم يشتركون فی الثورة على المدينة بوصفها رمزاً للحضارة الحديثة الّتی مزّقت العلاقات الإنسانيّة وبوصفها بؤرة الخداع والفساد فی المجتمع وبوصفها مركز الحكم المتسلّط الّذی يرفضه الشاعر الواقعی. (شراد، ۱۹۹۸م: ۲۲۲)

ـ لا يكتفی الشاعر الواقعی بالتذمّر من أحوال المدينة وإدانتها لكنّه يشكو من كلّ المظاهر الماديّة الّتی تثير قلقه ويحاول أن يضفی على تجربته حركة وتنوّعاً ينفيان عنها ما يجلبه الموقف القومی من رؤية ثابتة فيلجأ إلى بعض العناصر الدراميّة الّتی تضفی على النصّ شيئاً من الحيويّة والتنوّع وتنفی عنه الخطاب المباشر. (حمود، ۱۹۹۶م: ۲۱۲ـ۲۱۷)

ـ قد يلجأ بعض الشعراء إلى تضمين قصائدهم بعض قصص التراث العربيّة القديمة أو الإشارة إليها فی نوع من الرمز إلى بعض القضايا الّتی لا يستطيعون الحديث عنها حدثياً مباشراً ويغلف بعض الشعراء رؤيتهم الواقعيّة بنسيج من العبارات الجديدة الّتی أصبحت مألوفة فی الشعر الحرّ فی مراحله الأخيرة وقد يشيرون خلال ذلک إلى بعض رموز كصرح بلقيس وألف ليلة مثلاً لكنّها تجیء خيوطاً فی نسيج هذا الأسلوب الّذی يعتمد على تكرار أبنية بعينها ومفردات أصبح لها دلالة خاصّة عندهم. (عريض، ۱۹۹۶م: ۶۴)

ـ يلجأ بعض الشعراء الواقعيين إلى استخدام الأسلوب الدرامی فيعتمدون على التعبير عن المواقف الشعوريّة بلغة تقوم على الحركة التصويريّة وقد يستخدمون الحوار من خلال استدعاء بعض الشخصيّات التاريخيّة ويحسن الشعراء الواقعيّون من ذوی الميول الواقعيّة استدعاء الشخصيّات التاريخيّة وإقامة حوار تاريخی معهم حول أوضاع الحاضر. (جيوسی، ۲۰۰۱م: ۹۱)

ـ تشتغل قضايا الوطن العربی مكاناً خاصاً فی شعر الاتّجاه الواقعی فيشمل مفهوم الوطن فی شعر الاتّجاه الواقعی، الوطن العربی الكبير بكلّ أبعاده وقضاياه. وتستحوذ قضيّة الشعب الفلسطينی على قدر كبير من اهتمام الشعراء الواقعيين فيعبّر أكثر الشعراء

www.SID.ir

www.SID.ir

الواقعیین عن موقفهم إزاء محنة الشعب الفلسطینی وعن کفاحه لاسترداد حقّه المغتصب. (عباس، ۱۹۷۹م: ۲۶۱)

ـ تدلّ قصائد الشعراء الواقعیین فی مجملها علی وقوفهم مع إخوانهم العرب فی محنهم المتعدّدة والشاعر الواقعی إذ یصوّر هذه المآسی والمحن یشیر إلی تخاذل العرب و هوانهم وعدم قدرتهم علی المقاومة ومواجهة الظروف الصعبة الّتی تمرّ بها الأمّة. (العشماوی، ۱۹۹۴م: ۱۵۵)

ـ الشاعر الواقعی یلجأ إلی السخریّة من بعض المظاهر الدینیّة والسیاسیّة فی العالم العربی فیضع التقوی الزائفة وجهاً لوجه أمام التقوی الحقّة الّتی من أصولها النخوة القومیّة والتمرّد علی الظلم وکأنّ العرب یخدعون أنفسهم بتقوی لا تنبع من ضمائرهم بقدر ما یدفعهم إلیها التظاهر بالجدّ والصلاح وفی مثل الأسلوب الساخر قد یکون للقافیة الّتی تختم کلّ مقطوعة دور فی تأکید المفارقة لکنّ الشاعر الواقعی لا یدع الشعور القومی المباشر یفلت دون أن یعبّر عنه دون وجود ضرورة فعلیّة لذلک. (فقیه، ۱۹۹۸م: ۲۰۱)

إظهار ملامح الواقعیّة فی شعر نزار السیاسی

۱. الابتعاد عن الخیال وتصویر مشکلات الناس

إنّ الواقعیین ابتعدوا عن التحلّق فی سماء الخیال وترکوا مثالیّة الأدب الکلاسیکی جانباً وذهبوا بشعرهم داخل المجتمع والشارع والمقهی بین الناس وهذا الأمر یمکن فهمه عند نزار من خلال عناوین شعره السیاسی حیث «خبز و حشیش وقمر» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۱۳) و«قصّة راشیل شوارزنبرغ» فی قضیّة فلسطین (قبانی، ۱۹۸۶م: ۲۵) و «رسالة جندی فی السویس» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۳۹) و«جمیلة بوحیرد» الاستشهادیّة الجزائریّة (قبانی، ۱۹۸۶م: ۴۹) و«الحبّ و البترول» الّذی تکلّم فیها عن النفط ومأساة الاستفادة السیئة منه فی بلدان الخلیج (قبانی، ۱۹۸۶م: ۵۹) و«هوامش علی دفتر النکسة» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۶۹) «الممثلون» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۹۹) «الاستجواب» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۱۲۱) «فتح» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۱۳۷) و«شعراء الأرض فی المحتلة» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۱۴۹) و«القدس»

www.SID.ir

www.SID.ir

(قبانی، ۱۹۸۶م: ۱۵۹) و«منشورات فدائیّة علی جدران اسرائیل» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۱۶۵) وغیرها من الأسماء الواقعیّة.

هذا إذا نقوم بموازنة بین هذه الأسماء وأسماء دواوین الأدب الرومانسی. أو حتی نوازن بأسماء قصائد نزار الرومانسیّة والذاتیّة أی قصائده فی شعر المرأة «أمیّة الشفقتین» (قبانی، ۱۹۷۹م، ج ۲: ۱۰۹) و«الرسم بالکلمات» (قبانی، ۱۹۷۹م، ج ۱: ۴۶۴) «المجد للضفائر الطویلة» (قبانی، ۱۹۷۹م: ۵۰۶) «أحمر الشفاه» (قبانی، ۱۹۷۹م: ۲۴۵) «ثوب النوم الوردی» (قبانی، ۱۹۷۹م: ۲۳۲) «مصلوبة النهدین» (قبانی، ۱۹۷۹م: ۱۷۲) وغیرها من الأسماء الّتی تدلّ علی ذاتیّة الشاعر ورومانسیّته وبُعده من آلام الناس ومشکلاتهم ثمّ البُعد عن المجتمع وانغزاله الّذی من خصائص الأدب الرومانسی. وهناک تجدید فی المضمون عند أدباء الواقعیّة وهو استمداد الموضوعات من واقع الشعب داخل المجتمع والالتفات بالوضع السیاسی للبلاد العربیّة ونری هذه السمة أیضاً موجودة عند نزار حیث یحتلّ مفهوم العروبة ومسخه مع العرب وترسیم صورتهم فی قصائد نزار «الحبّ والبترول» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۵۹) «أنا یا صدیقة متعب بعروبتی» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۶۲۹) «من مفکرة عاشق دمشقی» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۴۱۵) وصولاً إلی مأساة العصر الّتی نتجت عن هذا الفهم الأشوه لعروبة أضاعت فلسطین وقد سجّلها فی «قصّة راشیل شوارزنبرغ» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۲۵) «منشورات فدائیّة علی جدران اسرائیل» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۱۶۵) «شعراء الأرض المحتلة» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۱۴۹) «فتح» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۱۳۷) «القدس» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۱۵۹) وبرغم المأساة استمّر الفکر السلطوی بعسفه یبرز فی «الممثلون» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۹۹) «الاستجواب» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۱۲۱) «الوصیّة» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۲۴۷) «الخطاب». (قبانی، ۱۹۸۶م: ۲۵۹)

هذا الفکر یرسم للهزیمة طریقها إلی الإنسان العربی فی: «خطاب شخصی إلی شهر حزیران» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۳۳۹) «دعوة اصطیاف للخامس من حزیران» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۲۰۷) «حوار مع عربی أضاع فرسه» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۲۱۵) «هوامش علی دفتر النکسة» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۶۹) علی أنّ هذه الهزیمة لم تمنع مصر عبدالناصر من مجاهدة الواقع

www.SID.ir

www.SID.ir

العربی لتجاوزه فی کلّ أحواله إلی قضیّة حملتها مصر و عبدالناصر حتی ساعات الأخیرة من حیاته فی «إلیه فی یوم میلاده» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۳۸۱) «جمال عبدالناصر» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۳۵۳) «الهرم الرابع» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۳۶۵) «رسالة إلی جمال عبدالناصر» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۳۷۳) و «حوار ثوری مع طه حسین». (قبانی، ۱۹۸۶م: ۴۶۹)

وفی مسار الوحدة کتب نزار: «مواویل دمشقیّة إلی قمر بغداد» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۴۹۹) «موال دمشقی» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۵۱۵) «موال بغدادی» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۵۲۱) هذه الوحدة الّتی رأی فیها الشاعر الطریق إلی النصر یرصده فی «جمیلة بوحیرد» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۴۹) «إلی الجندی العربی المجهول» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۳۱۹) «ترصیع بالذهب علی سیف دمشقی» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۴۲۷) و «ملاحظات فی زمن الحبّ والحرب» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۴۴۵). ولم یغب لبنان عن أوراق الشاعر فنزف فی «بلقیس» کما لم ینزف من قبل یلوّن کلماته بلون دمه الّذی نشمّه بین حروف القصیدة (قبانی، ۱۹۸۲م: ۱) ثمّ تکلّم عن قضیّة جنوب لبنان فی «سمیّتک الجنوب» وتکلّم عن رفض محاولات السلام فی «أرید بندقیّة» وغیرها من القصائد النضالیّة وتکلّم عن قضیّة النفط وطریقة معاملة أبناء بلدان الخلیج معه وإهدارهم هذه الثروة الالهیّة ثمّ تکلّم عن تخلّف المجتمعات العربیّة وخمول الشعب وراء الوصول إلی التقدّم والرقی ثمّ عن استبداد الحکام العرب ومعاملتهم القاسیّة مع الشعب وعن استکانة الشعب وتسلیمهم أمامهم، تکلّم عن أمریکا وغیرها من القُوی الاستکباریّة وعن إسرائیل والقضیّه الفلسطینیّة ثمّ تکلّم عن وضع الأدب العربی وشعرائه ثقافیاً وأشاد بشعراء الأرض المحتلة وموافقة أشعارهم مع مشکلات الشعب الفلسطینی ونضالیّة قصائدهم وملائمتها مع حیاة الیوم وغیرها من الموضوعات المطروحة فی البدان العربیّة الّتی تعتبر مشکلة أو مصیبة عالقة أمام شعوبها.

هو الشاعر الّذی یجب أن یقول ما یحسّه صادقاً ویدافع عن الحقیقة حتی تظهر فی یوم ما بمواجهة مدّعی النقد والحرص علی الأدب والفنّ والشعر والّذی یعملون لصالح بعض السلطه بغایة کسب رخیص وهم فی هذا أبعد ما یکونون عن الشعر والشعراء:

«لأنَّ شِعری کُلّه/ حَربٌ عَلَی المُغُولِ... وَالتَتَارِ... وَالبَرابَره/ یَشتُمُنِی الأَقزامُ وَالسَمَاسَرَة»

www.SID.ir

www.SID.ir

(قبانی، ۱۹۸۶م: ۷)

وشاعر هذه سمته لیس کثیراً أن یشغله همّ أمّته فی مجتمع صارت امرأته أمّته وهو لا یریدها أن تکون إلا الإنسان الّذی ترتفع علاقات الناس بها إلی مستوی المحبّة الّتی اتّسم بها شعره بصدقه ونقائه المترفّع عن السرقة والمتاجرة بالممنوعات بل الشعر الّذی یسأل فیه عن مضمون إنسانی یقرأ بعده لأنّه صوت الإنسان من داخل هذا الفنّ ولیس حشیشاً فنیّاً یخدّر عن القیم والحقیقة ویسهم فی سرقة القرّاء إلی الأحلام الواهیة کسائر السراق ویقتل بالتالی الغایة من الشعر ویقتل مشاعر الناس فیکون فی عداء بین الإنسان والمحبّة والشاعر محبّ صریح:

«أَنَا لَم أُتاجِر مِثلَ غَیری بِالحَشِیش.../ وَلا سَرَقتُ ولا قَتَلت/ لکِنَّنِی أَحبَبتُ فِی وَضَحِ النَهَار / فَهَل تَرانِی قَد کَفَرت؟» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۹)

وعلی القاعدة هذه یطلق نزار «خبز وحشیش وقمر» یطرح الصوت علی حال الخنوع والتراخی المستسلم للخرافة تجّر الناس إلی طقسیّة یعیشونها حبّاً یجسّد اضطهاد الخائف أن لا تصیبه برکة الوجه الآتی إذ اللون الأبیض هو اللالون والموت مادام یمثّل عند الشاعر الحیاد والاستلاب. کما تصادم مع نزار الثراء الحادث ینفجر مع آبار النفط العربی فنقف فی مواجهة النقمة علی أصحاب هذا الثراء الّذین تتغزّز فیهم المأساة إلی عمق نفوسهم الّتی یدخلها الموت یقتل کراماتهم ولا ینتهبون:

«تَنامُ کَأَنَّمَا المَأسَاة لَیسَت بَعضَ مَأسَاتِک/ مَتَی تَفهَمُ ؟ مَتَی یَستَیقِظُ الإنسَانُ فِی ذاتِک» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۵۹)

وهکذا یستمّد موضوعاته من واقع الشعب ومصائبهم إذ فی «الحاکم والعصفور» یتحدّث نزار بلغة واضحة تلتزم الکلمة، تلتصق بالعربی أساساً لکونه وباعتباره الإسناد المتبادل بین الأنا والامتناع یقوم الترابط بین الخبز والکلمة فی لحمة تؤدّی الغایة من الکتابة المستمرة بهذا الترابط والمنتهیّة بانتهائه. فالانطلاق من الأنا الشاعرة عنده یبرز إصراره علی فعل الثقافة الشعریّة فی جمهور قرّائها وتوصل الشعر إلی الغایة الفضلی من وجوده وترفعه عن أن یکون مجرّد ألاعیب ذاتیّة ینسبها الشاعر لنفسه وحولها:

www.SID.ir

www.SID.ir

«أَتَجَوَّلُ فِی الوَطَنِ العَرَبی/ لِأَقرأ شِعری لِلجُمهُور/ فَأَنَا مُقتَنِعٌ / أَنَّ الشِعرَ رَغیفٌ یُخبَزُ لِلجُمهُور» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۲۴۱، ۲۴۶)

یتأذی الشاعر لحال الشعر وتحاول السلطة قمعَه وکأنّه غریب عن أبناء هذه الأرض وتطالب بما یعرف عنه فی أسوأ ما یمکن أن تعامل به الکلمة فی ظلّ مجمع الأوطان الّتی تدّعیها هذه السلطة علی حساب الوطن الواحد وعلی حساب الکلمة الّتی هی سمة هذا الشعب وقدره:

«یَرمِینِی العَسکَرُ لِلعَسکَر/ وأَنَا لا أَحمِلُ فِی جَیبِی إلا عُصفُور/ لکِنَّ الضابِطَ یُوقِفُنِی/ وَیُرِیدُ جَوازَاً لِلعُصفُور/ تَحتاجُ الکَلَمة فِی وَطَنِی/ لِجَواز مُرور» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۲۴۱، ۲۴۶)

لذلک تنطبق هذه السّمة للواقعیّة علی الشعر السیاسی لنزار بحیث یدرکها القارئ لشعره هذا بمجرّد قراءة قصیدة واحدة منه.

۲. مؤازرة حرکات التحّرر السیاسیّة والاجتماعیّة

ارتبط شعر هذه المدرسة بالواقع والتعبیر عنه بوجوهه المختلفة من صدق، وزیف، وتقدّم، وتخلّف، وفرح، ویأس، وغیر ذلک من متناقضات الحیاة کذا نراه یتکلّم عن حرکات النضال وثورات التحّرر ضدّ المستعمر الأجنبی فی الجزائر والثورة الجزائریة وعن فلسطین وعن الحرکة القومیّة العربیّة فنراه هو مخالفاً لمفاوضات السلام فی أوسلو والصلح مع الاسرائیلیین:

«بَعدَ هذا الغَزَلِ السِریِّ فِی أُوسلُو/ خَرَجنَا عَاقِرین/ وَهَبونا وَطَناً نَبلِعُهُ مِن غَیرِ مَاء/ کَحُبُوبِ أَسبِرین» (نقلاً عن: تاج الدین، ۲۰۰۱م: ۷۱)

فیرفض توقیعات الصلح ومعاهداته ویقف مع المقاومین الفلسطینین فی رفض هذا الولید المشوّه الّذی ولدته معاهدات الصلح مع اسرائیل:

«لَیسَ صُلحَاً / ذلِکَ الصُلحُ الّذی أُدخِلَ کَالخَنجَرِ فِینا / إنَّه فِعلُ اغتِصَابٍ / ... / لَن تُساوِی کُلُّ تُوقِیعاتِ أُوسلُو/ خَردَلَه» (نقلاً عن: تاج الدین، ۲۰۰۱م: ۷۲)

www.SID.ir

www.SID.ir

إذ یری بأنّ هذا الصلح مؤامرة من قبل أمریکا وقُوی الاستکبار العالمی فنراه مخالفاً للاستعمار الجدید ومخالفاً للتدخّل الأجنبی فی الشأن الفلسطینی والعربی:

«تَزَوَّجنا بِلا حُبٍّ / مِن الأُنثَی الّتی ذاتَ یَومٍ أَکَلَت / أَولَادَنا / مَضَغَت أَکبَادَنا / وَأَخَذنَا إلی شَهرِ العَسَل / ... / لَم یَکُن فِی العُرسِ رَقصٌ عَرَبی / أَو طَعَامٌ عَرَبی / أَو غَناءٌ عَرَبی / فَلَقَد غَابَ عَن الرِّقة أَولادُ البَلَد / کانَ نِصفُ المهرِ بِالدُولار / کانَ الخَاتِمُ المَاسِیُ بِالدُولار / ... / کُلُّها قَد صَنَعَت فِی أَمریکا / وَانتَهَی العُرسُ وَلَم تَحضُر / فِلسطِینُ الفَرَح / ... / لَیسَ هذا العُرسُ عُرسِی / لَیسَ هذا الثُوبُ ثُوبِی / لَیسَ هذا العَارُ عَارِی / أَبَداً یا أَمریکا» (نقلاً عن: تاج الدین، ۲۰۰۱م: ۷۳، ۷۴)

فهو مع الحریّة والحرکات التحرریّة الاجتماعیّة ویقول بأنّ مشکلة الشعب لیست الخبز والماء رغم أنّه یعیش علی الکفاف بل إنّ مشکلة الّتی یبحث عنها هی الحریّة ولکنّ الحکّام یعتقدون أنّ الشعوب عقولها فی معدتها فیقول معبراً عنها:

«تَحَسُّساً مِن مَلَکِ المُلُوکِ / بِحَاجَة الشَعبِ إلی العِدالَه / وَالخُبزِ وَالثِیابِ / فَقَد رَسَمنا مَا یَلِی/ یُطلَبُ مِن وِزارَة التِجارَه / أَن تَمنَعَ استِیرادَ أَیَّما کِتابٍ / وَتَقنَعَ التُجَارَ أَن یَستَورَدُوا النُخالَه» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۸۵)

ثمّ نری مؤازرته الحرکات الاجتماعیّة والسیاسیّة فی قصیدة «فتح» حیث یشتدّ بهذه الحرکة الفلسطینیّة ونضالها ضدّ إسرائیل:

«بَعدَ أَن جِعنا وَأَن عُطِشنا / وَبَعدَ أَن تُبنا وَأَن کَفَرنَا ... / وَبَعدَ مَا ... / مِن یَأسِنا یَئِسنَا ... / جَاءَت إلینا فَتح / کَوَردَة جَمِیلَة طالِعَة مِن جُرح / کَنَبعِ مَاءٍ بَارِدٍ یُرَوِّی صَحارِی مِلح» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۱۴۵)

ثم یشید بحرکة فتح قائلا:

«یا فَتحُ یا شَاطِئَنا مِن بَعدِ مَا فُقِدنا ... / یَا شَمسَ نِصفِ اللّیلِ لاحَت ... / ... / یا فَتحُ یا حِصَانَنَا الجَمِیلا / یَحمِلُ فِی غُرَّتِهِ بِیسانَ وَالجِیلا / وَغَزَّة وَالقُدسَ وَالطُیُورَ وَالحُقُول / ... / یَا فَتحُ شَابَ الدَّمعُ فِی عُیُونِنا / وَلَم یَزِل خَنجَرُ إسرائِیلَ فِی ظُهُورِنا » (قبانی، ۱۹۸۶م: ۱۴۰-۱۴۵)

www.SID.ir

www.SID.ir

ثم یقف مع المناضلین الفلسطینین ویهجم علی الإسرائیلیین بقوله:
«لأَنَّکُم لَستُم کَأَمرِیکا / وَلَسنا کَالهُنودِ الحُمر / فَسَوفَ تَهلکونَ عَن آخِرِکُم / فَوقَ صَحارِی مِصر ...» (قبانی، ۱۹۸۶: ۱۷۰)

ثمّ یشتدّ قوله فی حمایة النضال والمناضلین الفلسطینین:
«ظَلَّ الفِلسطِینِی أَعوَامَاً عَلَی الأَبواب / یَشحُذُ خُبزَ العَدلِ مِن مَوائِدِ الذُبَاب / وَیَشتَکِی عَذابَه لِلخَالِقِ التوّاب / وَعِندَمَا / أَخرَجَ مِن إِسطَبلِهِ حِصَانَه / وَزَیَّتَ البَارُودَة المُلقاة فِی السِردَاب / أَصبَحَ فِی مَقدُورِهِ / أَن یَبدَأَ الحِسَاب»(قبانی، ۱۹۸۶م:۱۹۱)

ومؤازرته هذه لم تقف عند الحرکات السیاسیّة والاجتماعیّة بل تقف مع الشعراء الّذین بذلوا لسانهم وکلماتهم فی سبیل الذود عن الوطن ویقول:
«شُعَراءَ الأَرضِ المَحتَلَه/ ... / یا شَجَرَ الوَرد النَابتَ مِن أَحشَاءِ الجَمر / یا مَطَراً یَسقُطُ رُغمَ الظُلمِ وَرُغمَ القَهر / نَتَعَلَّمُ مِنکُم ... / ... / نَتَعَلَّمُ کَیفَ یَکُونُ الشعر / فَلَدَینا قَد مَاتَ الشُعَراءُ ... وَماتَ الشِعر/ الشِعر لَدَینا دَرویشٌ / یَتَرَنَّحُ فِی حَلَقَاتِ الذِکر» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۱۵۳ـ۱۵۴)

وهکذا تبرز هذه السمة فی أشعار نزار السیاسیّة کلّها وقد یری القارئ هذه فی أرجاء دواوینه.

۳. نثریة الأسلوب

قد قُلنا سابقاً بأنّ الواقعیین یفضّلون النثر علی الشعر لأنّه اللغة الطبیعیّة للناس وشعرهم أیضاً یغلب علیه طابع النثریة کما فی قصیدة «جمیلة بوحیرد»:
«الإسمُ: جَمیلَة بُوحِیرِد / رَقَمُ الزِنزَانَة: تِسعُونَا / فِی السِجنِ الحَربِی بُوهیران / وَالعُمرُ: اثنانَ وَعِشرُونا / عَینانِ کَقِندِیلَی مَعبَد / وَالشَعرُ العَرَبیُ الأَسوَد/ کَالصَیفِ کَشَّلالِ الأَحزان»(قبانی، ۱۹۸۶م: ۵۰)

حیث یتکلّم فی قصیدته علی شاکلة النثر والقصّة کما یقول أیضاً:
«الإسمُ: جَمیلَة بُوحِیرِد / أَجمَلُ أُغنِیَّة فِی المَغرِب / .../ أَتعَبَت الشَمسَ وَلَم تَتعِب /

www.SID.ir

www.SID.ir

يَا رَبِّی هَل تَحتَ الكَوكَب/ يُوجِدُ إنسَان / يَرضَی أَن يَأكِلَ .../ أَن يَشرِبَ / مِن لَحمِ مُجَاهِدَة تُصلَب» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۵۳)

كما فی قصيدته «الخطاب»:

«وَفِلسطِينُ عَلَی الأَرضِ حَمَامَه/ سَقَطَت تَحتَ نِعالِ المُخبِرين/ كُنتُ وَحدِی/ لَم يَزُرنِی أَحَدٌ فِی السِجنِ ... إلا/ جَبَلُ الكِرمِلِ وَالبَحرُ وَشَمسُ الناصِرَه / كُنتُ وَحدِی ... / وَمُلُوكُ الشَرقِ كانُوا جُثَثاً / فَوقَ مِياهِ الذّاكِرَه ...» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۲۷۳)

كما الحال فی قصيدته «الهرم الرابع» الّتی قالتها عن جمال عبد الناصر:

«يا مَن يَتَسَاءَلُ: أَينَ مَضَی عَبدُالناصِر؟» / يا مَن يَتَسَاءَلُ: / هَل يَأتِی عَبدُالناصِر / السيِّدُ مُوجُودٌ فِينا ... / مُوجُودٌ فِی أَرغِفَة الخُبز / وَفِی أَزهَارِ أَوانِينا / مَرسُومٌ فَوقَ نُجُومِ الصَّيف / وَفَوقَ رِمالِ شَواطِينا ...» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۳۷۱)

ثمّ إذا ننتقل إلی قصيدته «مذكّرات أندلسيّة» نری نثريّة أسلوب فی قوله الشعر حيث يقول:

«الراقِصَة الإسبَانِيَّة ... / تَقُولُ بِإصبَعِها كُلَّ شَیء / وَالرَّقصُ الإسبَانِیُ هُوَ الرَقصُ الوَحِيدُ / الّذی يَستَحِيلُ فِيهِ الإصبَعُ إلی فَم / النِدَاءُ السَاخِنُ وَالمَواعِيدُ العَطشَی / وَالرِضَی ... وَالغَضَبُ ... وَالشَهوَة ... وَالتَمَنِّی/ كُلُّ هَذَا يُقالُ بِشَهقَة إِصبَعْ ... / بِنَقرَة إِصبَع» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۵۳۱)

وبديهی أنّ هذه الأمثلة كثيرة لا تُحصی فی شعره هذا وتمثّلنا هذا علی سبيل التمثيل طبعاً لا علی سبيل الحصر إذ لو أردنا قول الفصل فيه والتفصيل والتطويل ليطول الكلام.

۴. بساطة الكلمات

قُلنا بأنّ من ميزات الأدب الواقعی غلبة نثرية الأسلوب علی شعرهم وأتينا بنماذج من شعر نزار يؤكّد تطابق هذه الخصوصيّة معه بيد أنّ سوی نثرية الأسلوب هناک ميزة جديدة غير استعمال الكلمات العاميّة وهی بساطة الكلمات إذ يبتعد الشاعر من استعمال

www.SID.ir

www.SID.ir

الکلمات الصعبة والغامضة ویستعمل مفردات بسیطة تُسمی المفردات الأمّ هذه المیزة متفشیّة فی أشعار نزار السیاسی والنسائی فلذلک لا نورد أمثلة لهذا الأمر بل کلّ الأمثلة الّتی ذکرناها یمکن أن تکون مثالاً لهذا القسم والّذین یطلبون المزید بإمکانهم الرجوع إلی قصائد «رسالة جندی من جبهة السویس» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۳۹) و«سبع رسائل ضائعة فی برید بیروت» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۵۹۱) و«الممثّلون» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۹۹) و«مرسوم بإقالة خالد بن الولید» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۴۸۵) و«بیروت محظیّکم بیروت حبیبتی» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۶۰۹)

۵. الاهتمام برسم النموذج البطولی و إبرازه

وهذا فی إطار التلاحم النضالی مع الجماهیر والتصمیم الإرادی والصلابة والوعی والتضحیّة بحیث یصبح نمطه مثالاً للمناضلین یحبّونه ویقتدون به وهذا کثیر عند نزار من مثل رسم بطولیّة «جمیلة بوحیرد» المناضلة الجزائریة الّتی تکلّم عنها فی قصیدة تحت هذا الإسم ورسمها کنموذج من امرأة مناضلة (قبانی، ۱۹۸۶م: ۴۹) ثمّ هکذا فی جمال عبدالناصر کنموذج من سیاسی شجاع وطنی (قبانی، ۱۹۸۶م: ۳۵۳ و ۳۵۳ إلی ۳۹۰) ثمّ فی رسم صورة الشاعر الفلسطینی کمال ناصر وکمال عدوان وأبی یوسف النجار وزوجته اللّذین اغتیلوا فی منازلهم بشارع فردان فی بیروت فی نیسان ۱۹۷۳ م وتکلّم عنها کنموذج من قادة المقاومة فی قصیدته «عرس الخیول الفلسطینیة» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۱۹۹) وکما نری نمذجته شعراء الأرض المحتلة کنموذج بطولی من شاعر مسئوول وطنی یبذل کلماته فی سبیل الذود عن الوطن ورسمهم فی قصیدته شعراء الأرض المحتلة کنموذج لکلّ شاعر معاصر مناضل (قبانی، ۱۹۸۶م: ۱۴۹) وغیرها من الأمثلة الّتی توجد بکثرة فی شعر نزار السیاسی.

۶. حیادیّة المؤلّف ورساليّة الأدیب

إنّ نزار رجل وحدوی یقول بوحدة الشعوب العربیّة ورفض التفرقة، إنّه ما کان

www.SID.ir

www.SID.ir

یسارياً أو يمينياً أو ماركسياً أو شيوعيّاً أو رأسمالياً أو سياسيّاً بل هو بعيد عن كلّ الأنظمة السياسيّة رغم عمله فی السلک الدبلوماسی السوری وهذا لايتنافی مع رساليّة الأديب إذ قلنا بأنّ ميزات الواقعيّة أيضاً عدم الاكتفاء بالتصوير بل لابُدّ من شعفه بالتحليل واستخلاص العوامل الفعّالة فی صياغة المستقبل التقدّمی إذ تبرز رسالة الكاتب وإعلاء شأن الإرادة الإنسانيّة ونضالها العنيد ضمن الإطار الجماعی الطبقی لصنع المصير وفق المنطلق التاريخی حيث الكاتب لا يبقی شاهداً سلبياً بل يتدخّل لتغليب الايجابيّات وتعزيز النضال، وهذا لاينافی حياديّة المؤلّف وهذا لا يمتنع طبعاً أن يقف الشاعر والكاتب بجانب قضيّة ولكن يجب أن تكون هذه الحماية عن طريق العلل السيكولوجيّة. ولونريد أن نعطی بأمثلة من شعر نزار علی سبيل المثال يكن أن نذكر:

«وَفَقَدتِ يا وَطَنِی البِكَارَه / لَم يَكتَرِث أَحَدٌ / وَسُجِّلت الجَريمَة ضِدّ مَجهُول / وَأُرخِيَت الستارَه ... / نَسَيت قبائِلُنا أَظَافِرَها / تَشَابَهَت الأُنُوثَة وَالذُكُورَة فِی وَظائِفهَا / تَحَوَّلَت الخُيُولُ إلی حَجَارَه .../ لَم تَبقَ لِلأَمواسِ فَائِدَة ... وَلا لِلقَتلِ فَائِدَة / فَإِنَّ اللَحمَ قَد فَقَدَ الإِثَارَه ...» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۲۲۹)

كما هو معلوم هو أيّد نظريّة خاصّة ولكنّة بطريقة تشعر إلی الحياد كما فی:

«فِی بِلادِی ... / حَيثُ يَحيَا النَاسُ مِن دُونِ عُيُون / حَيثُ يَبكِی السَاذِجُون / وَيُصَلُّونَ ... / وَيَزنُونَ .../ وَيُحيُونَ اتّكال ... / مُنذُ أَن كَانُوا / يَعيشُونَ اتّكَال ...» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۲۱)

أمّا عن رساليّة الأديب فنراها عند نزار حيث ينتقد الشعراء المشاركين فی المهرجات الأدبيّة العربيّة واستسلامهم أمام تقليد التراث الأعمی فيقول:

«شِعرُنا اليَومَ هَجمَة وَاكتِشَافٌ / لا خُطُوطٌ كُوفِيَّة وَحُداءُ ... / كُلّ شِعرٍ مُعَاصِرٍ ... لَيسَ فِيهِ / غَضَبُ العَصرِ نَملَة عَرجَاء/ مَا هُو الشِعرُ ؟ إن غَدَا بَهلَوانَاً / يَتَسَلّی بِرَقصَة الخُلَفَاء / مَا هُو الشِعرُ ؟ حِينَ يُصبِحُ فَأرَاً / كِسرَة الخُبزِ هُمُّه والغَداء» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۴۰۱)

كما هو معلوم هو أيّد نظريته وأدّی رساليّته ولكن بشكل يبتعد المباشرة بل يشير إليها كناية علی سبيل الخفاء وهذا السّمة شائع فی أكثر أشعاره وإن خرج عنها فی بعض

www.SID.ir

www.SID.ir

الأحیان عند ما یغضب فی «هوامش علی دفتر النکسة» مثلاً.

۷. الاعتقاد بالنضال المسلح ومقاومة الاستعمار

تشغل قضایا الوطن العربی مکاناً خاصاً فی الشعر الواقعی وقد تستحوذ قضیّة الشعب الفلسطینی علی قدر کبیر من اهتمام الشعراء الواقعیین فیعبّر أکثر هؤلاء الشعراء عن موقفهم تجاه محنة الشعب الفلسطینی ومن کفاحه لاسترداد حقّه المغتصب ورفض محاولات السلام وعملیات السلام فی أوسلو ثمّ یمتّد شعر هؤلاء إلی المقاومة فی جنوب لبنان وقد تجلی هذا فی قصیدة «سمیّتک الجنوب» لنزار ثمّ الوقوف مع الشعب العراقی فی محنه المتوالیة وسواهما من الشعوب العربیّة الأخری ونری هذه الأمور بکثرة عند نزار أمّا عن قضیّة النضال المسلّح ومقاتلة الاستعمار الأجنبی نورد بعض الأمثلة من شعره علی سبیل المثال:

«أُریدُ بُندُقیَّه ... / خَاتِم أُمِّی بعتُهُ / مِن أَجلِ بُندُقیَّه / مَحفَظَتِی رَهَنتُها / دَفَاتِری رَهَنتُها / مِن أَجلِ بُندُقیَّه»(قبانی، ۱۹۸۶م: ۳۲۷)

إذ یعتقد بأنّ کلّ شی عند لیست تساوی درهماً أمام بندقیّة الّذی هو رمز للکفاح المسلّح ثمّ یقف جنباً إلی جنب المناضلین المسلّحین ضدّ الاحتلال:

«أَصبَحَ عِندِی الآنَ بُندُقیَّه / أَصبَحتُ فِی قَائِمَة الثُوّار / أَفتَرِشُ الأَشواکَ وَالغُبَار / وَأَلبَسُ المَنیَّه/ مَشیئَة الأَقدارِ لا تَرِدُّنی/ أَنَا الّذی أُغَیِّرُ الأَقدَار»(قبانی، ۱۹۸۶م: ۳۲۶)

ثمّ یرفض محاولات السلام صریحاً ویقول:

«یا أَیُّهَا الثُّوار .../ فِی القُدسِ، فِی الخَلیلِ، فِی بِیسانَ، فِی الأَغوار / فِی بَیتَ لَحمَ ... / حَیثُ کُنتُم أَیُّها الأَحرَار .../ تَقَدَّمُوا ... / تَقَدَّمُوا ... / فَقِصَّة السَّلامِ مَسرَحِیَّه / وَالعَدلُ مَسرَحِیَّه / إلی فِلسطِینَ طَرِیقٌ وَاحِدٌ/ یَمُرُّ مِن فَوهَة بُندُقِیَّه...»(قبانی، ۱۹۸۶م: ۳۳۰)

ثمّ یرفض الاستیطان الیهودی فی الأرض المحتلّة ویقارن بین هذه العملیّة وعملیّة رعاة البقر فی معاملتهم أمام الهُنود الحُمر فی أمریکا:

«لَن تَجعَلُوا مِن شَعبِنا / شَعبُ هُنُودِ حُمرٍ / فَنَحنُ باقُونَ هُنا »(قبانی، ۱۹۸۶م: ۱۶۷)

www.SID.ir

www.SID.ir

ثمّ يصّرح فی كلامه هذا ويرفض أن يكون العرب الفلسطينين شعب هُنود حُمر:
«لأنَّكُم لَستُم كَأَمرِيكا / وَلَسنَا كَالهُنُود الحُمر/ فَسَوفَ تَهلُكُونَ عَن آخِركُم / فَوقَ صَحارِی مِصرَ...» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۱۷۰)

ثمّ يرفض لامبالية العرب تجاه المصائب فی فلسطين وعدم التفاتهم لأعمال المحتلين والمستعمرين:
«يَأتِی حُزَيرانُ وَيَذهب .../ وَالفَرَزدَقُ يُغرِزُ السِكّينَ فِی رِئَتَی جَرِيرٍ .../ وَالعَالَمُ العَرَبِی شَطرَنجٌ ... / وَأَحجَارٌ مُبعثَرَة ... / وَأَوراقٌ تَطِير ... / وَالخَيلُ عَطشَی ... وَالقَبَائِلُ تُستَجَارُ وَلا تُجِير ... / النَاطِقُ الرَسمِی يُعلِنُ أَنَّه فِی الساعَة الأُولَی/ وَخَمسِ دَقائِقَ شَرَبَ اليَهُودُ الشایَ فِی بِيرُوتَ / وَارتاحُوا قَلِيلاً فِی فَنَادِقِها وَعَادُوا سَالِمِين» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۲۳۵)

ثمّ يشتدّ فی كلامه ويكثر من لذاعة لسانه من هذه القضيّة:
«النَاطِقُ الرَسمِی يُعلِنُ فِی بَلاغٍ لاحِقٍ: / أَنَّ اليَهُودَ تَزَوَّجُوا زَوجَاتِنا .../ وَمَضُوا بِهِنَّ... فَبِالرِفاهِ وَبِالبَنِين...» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۲۳۷)

۸. السخريّة

نری فی شعر شعراء هذا الاتّجاه اللجوء إلی السخريّة من بعض المظاهر الدينيّة والسياسيّة فی العالم العربی فكذلک نزار الّذی يشبه شعره الصورة الكاريكاتيريّة للقضايا الّتی يبرزها فی صورة سخريّة لتضخّم الأخطاء حتی تلفت العيون ليكون هذا الأمر سبيلاً إلی الحلّ:
«أَوقِفُونِی ... / وَأَنَا أَضحَکُ كَالمَجنُونِ وَحدِی / مِن خِطَابٍ كانَ يُلقِيهِ أَميرُالمُؤمِنين / .../ سَأَلُونِی/ وَأَنَا فِی غُرفَة التَحقِيقِ عَمَّن حَرَّضُونِی / فَضَحِكت ... / وَعَن المَالِ ... وَعَمَّن مَوَّلُونِی ... / فَضَحِكت» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۲۶۳)

ثمّ يواصل تصويره الكاريكاتيری ويقول:
«قَالَ عَنِّی المُدَعِی العَام ... / وَقَالَ الجُندُ حِينَ اعتَقَلُونِی/ إِنَّنِی ضِدُّ الحُكُومَه ... / لَم أَكُن أَعرِفُ أَنّ الضُحکَ ... / يَحتاجُ لِتَرخِيصِ الحُكُومَه ... / وَرُسُومٍ ... وَطَوابِع ... / لَم

www.SID.ir

www.SID.ir

أَكُن أَعرِفُ شَيئاً ... / عَن غَسيلِ المُخِّ ... / أَو فُرمِ الأَصابِع / ... / فِی بِلادِی / مُمكِنٌ أَن يَكتَبَ الإنسانُ ضِدَّ اللهِ ... / لا ضِدَّ الحُكومَه...» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۲۶۳)

فیصل إلی ذورة سخریّته هذه من الوضع المأساوی من عنف الفکر السلطوی وضیق مدی الحریّة کذلک حین یتکلم عن الیهود المحتلّین ولامبالیّة العرب تجاه أعمالهم اللاإنسانیّة:

«مَا زَالَ يَكتُبُ شِعرَهُ العُذرِیَ قِيسٌ / وَاليَهُودُ تَسَرَّبُوا لِفَراشِ لَيلَى العَامِرِيَّه / حَتّی كِلابُ الحَیّ لَم تَنبَح ... / وَلَم تُطلِق عَلَی الزانِی رَصَاصَة بُندُقِيَّه / لا يَسلَمُ الشَرَفُ الرَفِيع / وَنَحنُ ضَاجَعنا الغُزاة ثَلاثَ مَرّاتٍ .../ وَضَيَّعنَا العِفافَ ثَلاثَ مَرّاتٍ / وَشَيَّعنَا المُرُوءَة بِالمَراسِمِ وَالطُقُوسِ العَسكَرِيَّه/ لا يَسلَمُ الشَرَفُ الرَفِيع» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۲۳۱)

وهکذا یکثر نزار من سخریّة وضع العرب وشعبهم، وخمولهم، وحکّامهم، واستبدادهم، وجهلهم فی أشعاره کلّها خاصّة فی قصیدتَیه «الهوامش» و«خبز وحشیش وقمر».

۹. استعمال الکلمات الأجنبیّة أو العامیّة

رأینا بأنّ أحد خصائص الشعر الواقعی هو الإکثار من استخدام الکلمات العامیّة أو الأجنبیّة فی محاولة للتخلّص من سیطرة الکلمات الکلاسیکیّة أو المعجمیّة للاقتراب من لغة المواطن العادی. فنری هذه الخصوصیّة فی کثیر من شعر نزار هذا فنورد بعض الأشعار علی سبیل المثال:

«عُيُونُ مُورِينا رُوسَالِينا / تَرُشّنِی بِالشُوقِ الأَسوَد/ عُيونُ مُورِينا رُوسَالِيا... دَوَاة سَوداء/ ... / شَعرُ مِيراندا آلافِيدرا الكَثِيفُ / المُتَنَفِّسُ كَغابَة إفرِيقِيَّة / وَيَترُكُ الخَزانَة الزُجَاجِيَّة .../ فِی المُتحَفِ الحَربِی / لِيمشِی مَعی فِی بُولفار الكلاستيانا فِی مَدرِيد/ ... / نَعَم هَذا يَحدُثُ فِی التارِيخ / إنَّ إسمَها الآنَ أَصبَحَ نُورال آمارو / بَدَلاً مِن نُوارَ بِنتِ عَمّار / ... / القُرطُ الطَوِيلُ / فِی أُذُنِ آناليزا دونالِيا / دَمعَة تَرَكَت الأُذُنَ مُنذُ قُرُون» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۵۲۷ـ۵۴۰)

ثم نری هذه الکلمات الأجنبیّة فی قصائد أخری نحو:

www.SID.ir

www.SID.ir

«تَمَزَّقَنی دونیا ماریَه / بِعَینَینِ أَوسَعُ مِن بَادِیَه» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۵۵۱) و«کُوریدا... / کُوریدا .../ وَیَندَفِعُ الثُورُ نَحوَ الرِداء» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۵۵۵) و«فلامِنکُو... / فِلامِنکُو ... / وَتَستَیقِظُ الحَانَة الغافِیَه» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۵۵)

أمّا استخدام المفردات العامیّة السوقیّة فنراه بین أشعار نزار:

«سَرَقُوا مَنقُوشَة الزَعتَرِ مِن یَدَینَا / سَرَقُوا الکُورنِیشَ وَالأَصدَافَ / وَالرَمَلَ الّذی کانَ یُغَطِّی جَسَدَنا / ... /یا رَقِیقَة: /جَاءَنِی هَاتِفُکِ الیَومَ خَجُولاً مِثلَ عِطرِ البُرتُقَال» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۵۹۸ـ۵۹۹)

ثمّ المفردات الأجنبیّة والعامیّة الّتی ما رأیناها من قبل فی مفردات الأشعار:

«وَحَجَزنَا الشُقَقَ الفَخمَة فِی حَیّ الإلیزِیَّه وَفِی / مَایفیر لَندَن ... / وَغَسَلنا الحُزنَ بِالخَمرَة وَالجِنسِ وَقاعَاتِ القُمَار/ وَتَذَکَّرنا عَلَی مائِدَة الرُولیتِ – أَخبَارَ الدِیَار / وَافتَقَدنَا زَمَنَ الدِفلِی بِلبنان / وَعَصرَ الجُلَّنار ... / وَبَکَینَا مِثلَمَا تَبکِی النِسَاء» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۶۱۲)

وهکذا ینتشر المفردات العامیّة والأجنبیّة فی سائر أشعار نزار السیاسیّة فانصرفنا عن المزید لکفایة ما ذُکرت علی سبیل المثال وما صرفنا عنه مثل «دولتشی فیتا و ماو والمالبورو» وغیرها. (قبانی، ۱۹۸۶م: ۲۰۶)

۱۰. التمرّد والرفض

إنّ التمرّد والرفض من سمات الأدب الواقعی فنورد بعض الأشعار علی سبیل المثال هنا یقول معلّقاً علی أول أعماله السیاسیّة:

«لأَنَّنِی لا أَمسَحُ الغُبارَ عَن أَحذِیَة القَیَاصِرَه / لأَنَّنِی أُقاوِمُ الطَاعُونَ فِی مَدِینَتِی المُحَاصِرَه / لأَنَّ شِعرِی کُلَّه / حَربٌ عَلَی المُغُولِ ... وَالتَتَارِ ... وَالبَرابَرَه / یَشتُمُنِی الأَقزامُ وَالسَمَاسِرَه» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۷)

ونری هذا التمرّد والرفض فی ذورة انفعاله فی «هوامش علی دفتر النکسة»:

«إذا خَسَرنَا الحَربَ، لاغرابَة / لأنّنا نُدخِلُها / بِکُلِّ مَا یَملِکُهُ الشَرقِیُ مِن مَواهِبِ الخِطابَه / بِالعَنتَرِیاتِ الّتی مَا قَتَلَت ذُبَابَه / لأَنَّنا نُدخِلُها / بِمَنطِقِ الطَبلَة وَالرُبَابَه/ ... / السِرُّ فِی

www.SID.ir

www.SID.ir

مَأسَاتِنا / صُراخُنا أَضخَمُ مِن أَصواتِنا / وَسَيفُنا ... / أَطوَلُ مِن قَامَاتِنا ... / خُلاصَة القَضِيَّة / تُوجِزُ فِی عِبَارَه / لَقَد لَبسنَا قِشرة الحِضَارَه / وَالرُوحُ جَاهِلِيَه» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۷۵ـ۷۷)

ثمّ نری هذا الرفض فی کلامه اللاذع الّذی یرفض الواقع المأساوی للعالم العربی وشعوبه:

«نَرکُضُ فِی الشَوارِعِ / نَحمِلُ تَحتَ إبطِنا الحِبالا / نُمَارِسُ السَحلَ بِلاتَبَصُّر / نُحَطِّمُ الزُجاجَ وَالأَقفَالا / نَمدُحُ کَالضَفَادِع / نَجعَلُ مِن أَقزَامِنَا أَبطَالا / ... / نَقعُدُ فِی الجَوامِعِ / تَنابِلاً کَسالَی / نُشَطِّرُ الأَبیاتَ أَو نُؤَلِّفُ الأَمثالا / وَنُشحِذُ النَصرَ عَلَی عَدُوِّنا / مِن عِندِهِ تَعَالَی...» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۸۸، ۸۹)

فلذلک ینتابه غضب شدید منقطع النظیر ویرید من کلّ شیء أن یکون غاضباً:

«نَرفُضُ أَن نَظَلَّ مَسطُولِینَ... دَائِخِین / یا شِعرِنَا کُن غَاضِبَاً... / یا نَثرَنَا کُن غَاضِبَاً... / یا عَقلَنا کُن غَاضِبَاً... / فَعَصرُنا الّذی نَعِیشُ عَصرَ غَاضِبِین / یا حقدَنا... کُن حَارِقاً / کَی لا نَصِیرَ کُلُّنا قَطِیعَ لاجِئِین...» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۱۴۸)

ویشتدّ غضبه هذا حتی یصل إلی الغضب علی کلّ شیء حتی الهمزة الّتی هی من الحروف الأبجدیّة:

«لَو أُعطِی السُلطَة فِی وَطَنِی/ لَقَطَعتُ نَهارَ الجُمعَة أَسنانَ الخُطَباءِ / وَقَطَعتُ أَصَابِعَ مَن صَبَغُوا بِالکَلَمَة أَحذِیَة الخُلَفَاء ... / وجَلَدتُ جَمِیعَ المُنتَفِعِین بِدِینار .../ أَو صَحنَ حِسَاء... / وَجَلَدتُ الهَمزَة فِی لُغَتِی / وَجَلَدتُ الیاء» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۲۲۱)

ثمّ یرفض أبناء الخلیج الّذین دوماً یهدرون النفط وبدلاً أن یصرفونه فی إعلاء الشأن العربی یهدرونه فی سبیل ملذّاتهم:

«تَمَرَّغ یا أَمیرَ النَفطِ ... / فَوقَ وُحُولِ لَذّاتِک / کَمِمسَحَة ... / تَمَرَّغ فِی ضَلالاتِک / لَکَ البترُولُ، فَاعصِره / عَلَی قَدَمَیْ خَلیلاتِک / کُهُوفُ اللَیلِ فِی باریسَ قَد قَتَلَتْ مُرُوءاتِک... / عَلَی أَقدامِ مُومِسَة هُنَاک ... / دُفِنَت ثارَاتِک ... / فَبِعتَ القُدسَ .../ بِعتَ الله / بِعتَ رِمَادَ أَمواتِک / کَأَنَّ حِرابَ إسرائِیلَ لَم تُجهِض شَقِیقَاتِک / وَلَم تُهدِم مَنَازِلَنا...» (قبانی،

www.SID.ir

www.SID.ir

۱۹۸۶م: ۶۶، ۶۷)

ثمّ يأخذ عليهم هذا الغرور الكاذب الّذی هو موجود عند أبناء الخليج وإهدار الأموال لسبيل الأشياء الّتی لا فائدة لها وتخلّف مجتمعهم وفكرهم وطريقة معاملتهم فی العيش علی لسان نسائی:

«مَتَی تَفهم؟/ بِأَنَّکَ لَن تُخَدّرَنِی .../ بِجَاهِکَ أَو إِمَارَاتِک / وَلَن تَتَمَلِّکَ الدُنيا ... / بِنَفطِکَ ... وَامتِيازَاتک / وَبِالعُرُوبَاتِ تَطرُحُهَا عَلَی قَدَمَی عَشِيقَاتِک / بِلا عَدَدٍ فَأَينَ ظُهُورُ نَاقَاتِک؟ .../ أَيَا مُتَشَقِّقُ القَدَمَينِ ... يَا عَبدَ انفِعَالاتک / وَيَا مَن صَارَت الزوجَاتُ بَعضَاً مِن هِوايَاتک / تَكَدَّسُهُنَ بِالعَشَراتِ فَوقَ فِراشِ لَذّاتک / تُحَنِّطُهُنَ كَالحَشَرات ... / فِی جُدرانِ صَالاتک ... / مَتَی تَفهم؟» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۶۳، ۶۴)

ثمّ يهاجم علی التقاليد الباليّة فی المجتمعات الشرقيّة وهذا باسم أبيه والمصلح الثوری هو نزار:

«أَفتَحُ صُندُوقَ أَبِی... / أُمَزّقُ الوَصِيَّه / أَبِيعُ فِی المُزادِ مَا وَرَثتُهُ: / مَجمُوعَة المَسَابِيحِ العَاجِيَّه/ طُربُوشِهِ التُركِی وَالسَمَاوَرِ العَتِيقِ وَالشَمسِيَّه / أَسحَبُ سِيفِی غَاضِبَاً / وَأَقطَعُ الرُؤوسَ وَالمَفاصِلَ المَرخِيَّه / وَأَهدِمُ الشَرقَ عَلَی أَصحَابِهِ / تَكِيَّة... تَكِيَّة...» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۲۴۹)

ثمّ يصرح برفضه هذا بلهجة غاضبة ثوريّة لا تعرف أیّ شیء سوی الغضب والرفض:

«أَرفُضُ مِيرَاثَ أَبِی / وَأَرفُضُ الثَوبَ الّذی أَلبَسَنِی / وَأَرفُضُ العِلمَ الّذی عَلَّمَنِی / وَكُلَّ مَا أَورَثَنِی مِن عُقَدٍ جِنسِيَّه/ أَرفُضُ أَلفَ لَيلَة... / وَالقُمقُمَ العَجِيبَ وَالمَارِدَ وَالسَجّادَة السِحرِيَّه / أَرفُضُ سَيفَ الدُولَة المَغرُورَ... وَالقَصَائِدَ الذَلِيلَة الغَبِيَّه / أَحرِقُ رَسمَ أُسرَتِی... أَحرُقُ أَبجَدِيَتِی...» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۲۵۲)

ثمّ يأخذ علی الحكّام الغارقين فی الملذّات البعيدين عن قضايا الأمّة ومصائبها وعلی قعودهم من الجهاد:

«أَدخُلُ مِثلَ البَرقِ مِن نَافِذَة الخَلِيفَه... / أَرَاهُ لايَزالُ مِثلَمَا تَرَكتُهُ / مُنذُ قُرُونٍ سَبعَة /

www.SID.ir

www.SID.ir

مُضَاجِعَاً جَارِيّة رُومِيَّه/ أَقرأُ آياتٍ مِنَ القُرآنِ فَوقَ رَأسِهِ / مَكتُوبَة بِأَحرُفٍ كُوفِيَّه / عَن الجِهادِ فِی سَبِيلِ اللهِ وَالرَسُولِ / وَالشَرِيعَة الحَنِيفَة... / أَقوُلُ فِی سَرِيرَتِی:/ تَبَارَکَ الجَهَادَ فِی النُحُورِ... / وَالأَثداءِ... / وَالمَعَاصِمِ الطَرِيَّه... »(قبانی، ۱۹۸۶م: ۲۵۳، ۲۵۴)

هذا کان بالنسبة إلی خمول الحکّام أمّا بالنسبة إلی خمول الشعب العربی وتخلّف مجتمعاتهم وعن قعودهم نحو الرقی والتنمیة یقول:

«حِينَ يَصيرُ الحَرفَ فِی مَدِينَة / حَشِيشَة يَمنُعُها القَانُون / وَيَصبِحُ التَفكِير/ كَالبُغَاء... / وَاللَّواط... / وَالأَفيُون... / جَرِيمَة يُطَالُها القَانُون / حِينَ يَصِيرُ الناسَ فِی مَدِينَة / ضَفَادِعَاً مَفقُودَة العُيُون / فَلا يَثُورُونَ وَلا يَشكُون / ... / يَصبِحُ الإنسانَ فِی مُوطِنِهِ / أَذَلُّ مِن صَرصَار...»(قبانی، ۱۹۸۶م: ۱۰۳، ۱۰۴)

وهکذا یرفض خمول العالم العربی شعباً وحکّاماً ولا یبقی رفضه عند هذا الحدّ بل یتسرّی لیشتمل الشعراء والمثقفین القاعدین عن العمل الدؤوب والمقاومة:

«نَرفُضُ الشِعرَ كِيمِياءً وَسِحرَاً / قَتَلَتنا القَصِيدَة الكِيمِياء / نَرفُضُ الشِعرَ مَسرَحَاً مَلَكِيّاً / مِن كُراسِيه يُحرَمُ البُسَطَاء / نَرفُضُ الشِعرَ أَن يَكُونَ حِصَانَاً / يَمتَطِيهُ الطُغاة وَالأَقوِياء / ... / نَرفُضُ الشِعرَ أَرنَبَاً خَشَبِيّاً / لا طُمُوحَ لَه وَلا أَهواء / نَرفُضُ العَاطِلِينَ فِی قَهوَة الشِعر... / دُخانَ أَيّامِهِم وَارتِخَاء»(قبانی، ۱۹۸۶م: ۳۹۹، ۴۰۰)

وإذا فرزنا کلّ شواهد الرفض یجب أن نورد کلّ أعماله السیاسیّة فلذلک نکفی لهذا القدر من الشواهد الدّالة علی رفضه وغضبه.

۱۱. مادیّته ورفض الغیبیّات والماورائیات

إنّ الواقعیّة تنطلق من الواقع المادیّ من خلال فهم عمیق لبنیة المجتمع والعوامل الفعّالة فیه والصراعات الّتی ستقضی إلی التغییر منبوذاً کلّ الماورائیات والأمور المیتافیزیقیّة جانباً لأنّها لیست واقع حسی یلمسه الإنسان کما یلمس حرارة الشمس ومرارة الفقر وضیق الحریّة وظلم الحکّام وغیرها من الأمور الحسیّة فنراه یرفض الدارویش فی القیام بأعمالهم الطقوسیّة:

www.SID.ir

www.SID.ir

«وَطَنِی / یَفهَمُکَ السُذجَ رِیحَانَاً وَرَاح / وَیَظُنّونَکَ دَرویشَاً یَهَزُّ الرَأس... / أَو رَقصَ سَمَاع... / وَیَظُنُّوکَ فِی غَفلَتِهِم / نَغمَة مِن بُزُقٍ... / وَقَناتِی عَرَقٍ... / وَمَواوِیل تُغنِّی لِلصَبّاح» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۳۳۵)

ثمّ یشتدّ فی کلامه ویقول بکلام لیس بصدید:

«کُنْ یَا حَزیرانُ انفجَارَاً .../ فِی جَمَاجِمِنَا القَدیمَه .../ ... / أَطلِقْ عَلَی المَاضِی الرَصَاصَ ... / کُن المُسَدَسَ ... / وَالجَرِیمَه ... / مِن بَعدِ مَوتِ اللهِ مَشنُوقَاً ... / عَلَی بَابِ المَدِینَه .../ لَم تَبقَ لِلصَلَواتِ قِیمَه ... / لَم یَبقَ لِلإیمانِ ... أَو لِلکُفرِ قِیمَه» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۳۳۹)

ثمّ بدل هذه الأمور المیتافیزیقیّه یحاول أن یستمّد موضوعاته من الواقع السیاسی والاجتماعی والمعیشی الّذی کثیراً ما تکلّمنا عنه کما فی قصیدته «عرس الخیول الفلسطینیّة» الّتی قالها فی رفض اغتیال القادة الفلسطینیین فی بیروت فی نیسان ۱۹۷۳ الّذی اغتیل فی هذه الحادثة کمال ناصر وکمال عدوان وأبو یوسف النجار وزوجته فیقول:

«بِشَارِع فَردَانَ کَانَت تَمُوتُ الخُیُولُ الجُمیلَه / بِصُمتٍ.../ وَتَختَارُ میتَها النَادِرَه / ... / صَدِیقِی کَمَال: / صَدِیقَ الدَفَاتِرِ... وَالحِبرِ... وَالکَلَمَاتِ الجَدِیدَه / أَکُلُّ الرَصَاصَ الّذی أَطلَقُوهُ عَلَیک؟ / لِقَتلِ القَصِیدَه» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۲۰۱ و۲۰۴)

۱۲. التشیید بشعراء الأرض المحتلة

قلنا بأنّ أصحاب الواقعیّة فی البلاد العربیة یجیدون الکلام فی شعراء الأرض المحتلة باعتبارهم أنموذجاً یُحتذی بها فی الالتفات بواقع الأمّة ومصائبها ومشکلات الشعب الفلسطینی فنری نزار یشید بشعراء الأرض المحتلّة حیث یجعل هذا الاسم علی قصیدة یتکلّم فیها عنهم:

«شُعَراءَ الأَرضِ المُحتَلّه/ یَا مَن أُوراقَ دَفَاتِرِکُم / بِالدَمعِ مُغَمَّسَة وَالطِّین / یا مَن نَبَراتُ حَنَاجِرِکُم / تُشبِهُ حَشرَجَة المَشنُوقِین/ ... / نَتَعَلَّمُ مِنکُم / کَیفَ الحَرفُ یَکوُنُ لَهُ شِکلَ السِکِّین» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۱۵۱، ۱۵۲)

www.SID.ir

www.SID.ir

ثمّ یغضب من لا مبالیّة الشعراء العرب وعدم اتباعهم من الشعراء الفلسطینین:

«شُعَراءَ الأَرضِ المُحتَلَّه / مَاعَادَ لأَعصَابِی أَعصَابْ / حُرُمَاتُ القُدسِ قَد انتُهِکَتْ / وَصَلاحُ الدِینَ مِن الأَسلاب... / وَنُسَمِّی أَنفُسَنا کُتّاب؟؟» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۱۵۷)

ثمّ یذکر اسم بعض هؤلاء الشعراء المناضلین بسلاح الکلمة ویحیّیهم:

«مَحمُودَ دَرویش ... سَلامَاً / تُوفِیقَ الزیّاد ... سَلامَا / یَا فَدَوی طُوقَان ... سَلامَا / یَا مَن تَبرُونَ عَلَی الأَوضَاعِ الأَقلامَا / نَتَعَلَّمُ مِنکُم / کَیفَ نُفَجِّرُ فِی الکَلَمَاتِ الأَلغَامَا» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۱۵۸)

ثمّ یذکر الشاعر المناضل الفلسطینی الشهید الّذی اغتیل فی بیروت «کمال ناصر» ویقول:

«صَدِیقِی کَمَال: / صَدِیقَ الدَفَاتِر... وَالحِبر ... وَالکَلَمَاتِ الجَدِیدَه / ... / کُنتَ تُعَلِّمُنا کَیفَ نُلغِی المَسَافَه / بَینَ الأَدِیبِ وَبَینَ المُقاتِلْ.../ کُنتَ تُعلِّمُنَا یَا صَدِیقِی / أَنَّ المُسَدَسَ لا یَستَطِیعُ اغتِیَالَ البَلابِل» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۲۰۴ و۲۰۵)

۱۳. التکرار

من أحد خصوصیات المکتب الواقعی، التکرار بشکل تقوم القصیدة علی فکرة التدویر والتکرار حیث یعاود الشاعر فی بدایة کلّ مقطع تکرار جملة ثمّ یضیف إلیها رؤیة جدیدة متّصلة بموضوع القصیدة دون الخروج عن فکرتها الأساسیّة وهکذا نزار فی کلّ أشعاره السیاسیّة:

«نَنتَظِرُ القَطَار / نَنتَظِرُ المُسَافِرَ الخَفِّی کَالأَقدَار / یَخرُجُ مِن عَبَاءَة السِنِین / یَخرُجُ مِن بَدرٍ... / مِن الیَرمُوکِ... / مِن حِطِّین... / یَخرُجُ مِن سَیفِ صَلاحِ الدِّین» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۲۸۱)

کذلک الأمر فی نفس القصیدة:

«مِن سَنَة العِشرِین / وَنَحنُ کَالدَّجَاجِ فِی أَقفَاصِنا / نَنظُرُ فِی بَلاهَة... / إلی خُطُوطِ سِکّة الحَدِید/ أُفُقِیَّة حَیَاتُنَا / مِثلَ خُطُوطِ سِکَّة الحَدِید... / ضَیِّقَة أَیّامُنَا / مِثلَ خُطُوطِ سِکَّة

www.SID.ir

www.SID.ir

الحَدید... »(قبانی، ۱۹۸۶م: ۲۳۸)

وکذلک یبدأ کلّ قسم من هذه القصیدة بعبارة «ننتظر القطار» ثم نری فی نفس القصیدة:

«انتَبهُوا... / انتَبهُوا... / خَمسینَ یَومَاً ـ رُبَّمَا ـ تَأَخَّرَ القَطار... / خَمسینَ عَامَاً ـ رُبَّمَا ـ تَأَخَّرَ القَطَار.../ خَمسینَ قَرنَاً ـ رُبَّمَا ـ تَأَخَّرَ القَطَار...»(قبانی، ۱۹۸۶م: ۲۸۵)

کذلک التکرار فی عبارة «هاجرتُ من»:

«هَاجَرتُ مِن صَوتِی / وَمِن کِتَابَتِی... / هَاجَرتُ مِن وِلادَتِی... / هَاجَرتُ مِن مَدَائِنِ المِلح / وَمِن قَصَائِدِ الفَخَّار»(قبانی، ۱۹۸۶م: ۳۰۴)

وکذلک التکرار فی عبارة «یئستُ من» فی القسم الرابع من القصیدة (قبانی، ۱۹۸۶م: ۳۰۸) و«وهاهُنا» فی نفس القصیدة. (قبانی، ۱۹۸۶م: ۳۱۱)

نری تکرار الأسالیب أیضاً فی شعر نزار بدل العبارات مثل تکرار أسلوب النداء فی القسم الثالث قصیدة «حوار مع ملک المغول» وکذلک التکرار صیغة الجملة مع تبدیل الکلمات:

«إذا کُنّا سَنَرقُصُ دُونَ سِیقَان... کَعَادَتِنَا / وَنَخطُبُ دُونَ أَسنان... /کَعَادَتِنَا / وَنُؤمِنُ دُونَ إیمَان.../ کَعَادَتِنَا»(قبانی، ۱۹۸۶م: ۳۴۶)

وتکرار «السید نام» فی قصیدة «الهرم الرابع»:

«السیِّدُ نَام.../ السیِّدُ نَام.../ السیدُ نامَ کَنَومِ السَیفِ العَائِدِ مِن إحدی الغَزَوات / السیدُ یَرقُدُ مِثلَ الطِفلِ الغَافِی فِی حِضنِ الغَابَات / السیدُ نَام...»(قبانی، ۱۹۸۶م: ۳۶۷)

ویتکرر الأسالیب والکلمات معاً فی «رسالة إلی جمال عبدالناصر»:

«وعِندَمَا یَسأَلُنا أَولَادُنَا / مَن أَنتُم؟ / فِی أَیِّ عَصرٍ عِشتُم؟ / فِی عَصرِ أَیِّ مُلْهَمٍ؟/ فِی عَصرِ أَیِّ سَاحِرٍ؟ / نُجِیبُهُم: فِی عَصرِ عَبدِالناصِر»(قبانی، ۱۹۸۶م: ۳۸۰)

وهناک تدویر وتکرار فی «ملاحظات فی زمن الحبّ والحرب»:

«أَلاحَظتِ شَیئاً / أَلاحَظتِ أَنّ العَلاقَة بَینِی وَبَینَکِ فِی زَمَنِ الحَربِ / تَأخُذُ شَکلاً جَدِیداً / وَتَدخُلُ طَوراً جَدِیداً.../ وَأَنَّکِ أَصبَحتِ أَجمَلَ مِن أَیِّ یَومٍ مَضی... / وَأَنِّی أُحِبُکِ

www.SID.ir

www.SID.ir

أَكثَرَ مِن أَيِّ يَومٍ مَضَى... / أَلاحَظتِ كَيفَ احتَرَقنَا جِدارَ الزَمَن؟/ ... / أَلاحَظتِ... كَيفَ اندَفَعتُ إلَيكِ... / كَأَنِّي أَراكِ لأَوَّلِ مَرَّه / أَلاحَظتِ كَيفَ انسَجَمنَا... / وَكَيفَ لَهَثنَا.../ وَكَيفَ عَرِقنا... / وَكَيفَ استَحَلنَا رِمَاداً... / وَكَيفَ بُعِثنَا... / كَأَنّا نُمَارِسُ فِعلَ الغَرَام / لأَوّلِ مَرَّه» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۴۴۷ـ۴۴۹)

كذلک الأمر فی قصیدته «الممثّلون» الّتی ینقد فیها حکّام العرب الخمولین نقداً لاذعاً:

«مَتَى سَتَرحَلُون / المَسرَحُ أَنهَارَ عَلَى رُؤُوسِكُم / مَتَى سَتَرحَلُون؟ / وَالناسُ فِی القَاعَة يَشتُمُونُ... يُبصِقُون... / كانَت فلسطِينَ لَكُم / دَجَاجَة، مِن بِيضِهَا الثَمِينَ تَأكُلُون.../ كانَت فِلسطِينَ لَكُم / قَمِيصَ عُثمانَ الّذی بِهِ تُتَاجِرُون / طُوبَى لَكُم... / عَلَى يَدَيكُم أَصبَحَت حُدُودُنا / مِن وَرَقٍ... / فَألفَ تُشكَرُون.../ عَلَى يَدَيكُم أَصبَحَت بِلادُنَا / امرَأَة مُبَاحَة ... / فَألفَ تُشكَرُون...» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۱۱۰، ۱۱۱)

فهناک تکرار جملة «من قتل الإمام» وتکرار «ون» الجمع وتکرار جملة «کما قیل لکم یا سادتی الکرام» وتکرار «الشام» وکذلک «سادتی الکرام» بشکل ملحوظ فی قصیدة «الاستجواب». (قبانی، ۱۹۸۶م: ۱۲۳، ۱۳۰)

کذلک التکرار الّذی یخرج الشعر من حالته القویمة فی:

«مِن رُبعِ قَرنٍ وَأَنَا... / أُمَارِسُ الرُكُوعَ وَالسُجُود / أُمَارِسُ القِيَامَ وَالقُعُود / أُمَارِسُ التَشخِيصَ خَلفَ حَضرَة الإمَام / يَقُول: اللّهُمَ امحِق دَولَة اليَهُود / أَقُول: اللّهُمَ امحِق دَولَة اليَهُود / يَقُول: اللّهُمَ شَتِّت شَملَهُم / أَقول: اللّهُمَ شَتِّت شَملَهُم / يَقُول: اللّهُمَ اقطع نَسلَهُم / أَقُول: اللّهُمَ اقطع نَسلَهُم / يَقُول: أَغرِق حَرثَهم وَزَرعَهُم / أَقُول: أَغرِق حَرثَهُم وَزَرعَهُم / وَهكَذا يَا سَادَتِی الكِرَام / قَضَيتُ عِشرِينَ سَنَّه» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۱۳۱، ۱۳۲)

ونکتفی بهذا القدر من شواهد التکرار الّتی تکثر فی شعر نزار والّذی یرید المزید علیه الرجوع إلی قصائد «فتح ـ جریمة شرف فی المحاکم العربیّة ـ سبع رسائل ضائعة فی برید بیروت» الّتی تظهر هذه المیزة فیها بشکل جدیر بالالتفات.

www.SID.ir

www.SID.ir

۱۴. استغلال التراث واستدعاء الشخصيات التاريخيّة

قد قُلنا سابقاً بأنّه من ميزات الواقعيّه تضمين قصص التراث العربيّة القديمة أو الإشارة إليها من العبارات الّتی أصبحت مألوفة فی الشعر الحرّ فی مراحله الأخيرة واستدعاء بعض الشخصيات التاريخيّة العربيّة علی إقامة حوار تاريخی معهم حول أوضاع الحاضر وطغيان الشخصيات التاريخيّة العربيّة علی سائر الأبطال والشخصيات ثمّ الاهتمام بالرمز والصور والأساطير مع السلامة من الغموض والانغزال عن القارئ:

«أَبَا تَمّامَ... أَينَ تَكُونُ... أَينَ حَديثُكَ العطر؟/ وَأَينَ يَدٌ مُغَامِرَة تُسَافِرُ فِی مَجَاهِيل وَتَبتَكِر...؟ / أَبَا تَمّامَ... / أَرمَلَة قَصَائِدُنَا... وَأَرمَلَة كِتَابَتُنَا / ... / أَبَا تَمَّامَ دَار الشعرِ دَورَتِه / وَثارَ اللَفظُ... وَالقَامُوسُ... / ... / أَبَا تَمّامَ: لا تَقرَأ قَصَائِدَنَا / فَكُلُّ قُصُورِنَا وَرَقٌ... / ... / أَبَاتَمّامَ: إنَّ الشعرَ فِی أَعمَاقِهِ سَفَر / وَإبحَارٌ إلَی الآتِی... وَكَشفٌ لَيسَ يُنتظَرُ / ... / أَميرَ الحَرفِ... / سَامِحنَا / فَقَد خُنّا جَميعَاً مِهنَة الحَرفِ... / ... / أَبَا تَمّامَ ... إنَّ النَارَ تَأكُلُنَا / ... / وَنَقعَدُ فِی بُيُوتِ اللهِ نَنتَظِرُ / بِأَن يَأتِی الامَامُ عَلِیُّ... / أَو يَأتِی لَنَا عُمَرُ / وَلَن يَأتُوا... وَلَن يَأتُوا / ... / أَبَا تَمّامَ: إنَّ الناسَ بِالكَلِمَاتِ قَد كَفَرُوا» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۳۴۸، ۳۵۲)

ثمّ يشير إلی قتل أولياء الله ويشبّه موت عبدالناصر بذلک:

«قَتَلنَاک / لَيسَ جَدِيداً عَلَينَا / اغتِيَالُ الصَحَابَة وَالأَولِيَاء / فَكَم مِن رَسُولٍ قَتَلنَا... / وَكَم مِن إمامٍ ذَبَحنَاه وَهوَ يُصَلِّی صَلاة العِشَاء.../ فَتاريخُنَا كُلُّه مِحنَة.../ وَأَيّامُنَا كُلُّهَا كَربَلاء...» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۲۵۵)

حيث يشير إلی اغتيال الرسل ثمّ اغتيال أبی بكر صحابة الرسول فی حال صلاته صلاة العشاء ثمّ يشير إلی كارثة كربلاء ويقول بأنّ خيانة العرب وموت جمال عبدالناصر من هذا النوع ثمّ يشير فی قصيدة أخری إلی الشخصيات الأدبيّة العربيّة:

«كُلُّ عَامٍ نَأتِی لِسُوقِ عُكَاظ / وَعَلَينَا العَمَائِمُ الخَضرَاء / ... / كُلُّ عَامٍ نَأتِی... فَهذا جَرِيرٌ / يَتَغَنّی وَهذِهِ الخَنسَاء / ... / سَقَطَت فِی الوُحُولِ كُلُّ الفَصَاحَات / وَمَاتَ الخَلِيلُ وَالفَرَّاء / ... / يا عُصُورَ المُعَلّقات مَللنَا / ... / المَقَامَاتُ لُعبَة ... وَالحَرِيرِی / حَشِيشٌ وَالغُولُ...

www.SID.ir

www.SID.ir

وَالعَنقَاء» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۳۹۳ـ۳۹۹)

ثمّ فی قصیدة «من مفکرة عاشق دمشقی» یذکر أسماء القبائل والشخصیّات القدیمة:

«یا شَامُ... أَینَ هُمَا عَینَا مُعَاوِیَة / وَأَینَ مَن زَحَمُوا بِالمَنکَبِ الشُهُبا / فلا خُیُولَ بَنِی حَمدَانَ رَاقِصَة / زَهوَاً وَلا المُتَنَبِی مَالِیءٌ حَلَبَا / وَقَبرُ خالِدٍ فِی حِمصَ نُلامِسُه / فَیَرتَجِفُ القَبرُ مِن زُوّارِهِ غَضَبَا» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۴۲۰)

ثمّ یستدعی صلاح الدین الأیوبی ویشکو علیه التمرّد الصهیونی علی الوطن العربی:

«سَرَقُوا مِنّا الزَمَانَ العَرَبِی / سَرَقُوا فَاطِمَة الزَّهرَاءَ مِن بَیتِ النَبِی / یَا صَلاحَ الدِین / بَاعُوا النُسخَة الأُولَی مِن القُرآن / بَاعُوا الحُزنَ فِی عَینَیْ عَلِی / کَشَفُوا فِی أُحُدٍ ظَهرَ رَسُولِ اللهِ / بَاعُوا الأَنهُرَ السَبعَة فِی الشَام / وَبَاعُوا الیَاسَمِینَ الأَمَوِی / ... / عَزَلُوا خَالِدَ فِی أَعقَابِ فَتحِ الشَام / سَمُّوهُ سَفِیرَاً فِی جِنِیف / ... / سَرَقُوا مِن طَارِقٍ مِعطَفِهِ الأَندُلُسِی / أَخَذُوا مِنُه النَیَاشِینَ أَقَالُوهُ مِن الجَیشِ» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۴۸۷ و ۴۸۹)

حیث یشیر إلی فاطمة الزهراء (س) والنبی (ص) وصلاح الدین الأیوبی فاتح الحروب الصلیبیّة ویستدعیه ثم یشیر إلی القرآن وعلی (ع) وإلی غزوة أُحد ثمّ یشیر إلی خالد بن الولید الفاتح الإسلامی فی صدر الإسلام ثمّ طارق فاتح الأندلس فی العصر العباسی وکلّ هذا علی شاکلة الرمز ولکنه لیس غامضاً وهکذا یواصل هذا العمل:

«یا صَلاحَ الدّین... / هَذا الزَمَنِ الرِدَّة / وَالمَدِّ الشُعُوبِی القَوِی / أَحرَقُوا بَیتَ أَبِی بَکر... / وَأَلقُوا القَبضَ فِی اللَیلِ عَلَی آلِ النَبِی / فَشَرِیفَاتُ قُرَیشٍ / صِرنَ یَغسِلنَ صُحُونَ الأَجنَبِی / یا صَلاحِ الدّین... / مَاذَا تَنفَعُ الکَلِمَة فِی هَذَا الزَمَانِ البَاطِنِی / وَلِمَاذَا نَکتُبُ الشِعرَ... وَقَد / نَسِی اللهُ الکَلامَ العَرَبِی؟» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۴۹۷، ۴۹۸)

وهکذا عمله فی«منشورات فدائیّة علی جدران إسرائیل»:

«لا تَسکُرُوا بِالنَصر / إذا قَتَلتُم خَالِدَاً / فَسَوفَ یَأتِی عمرو / ... / مِن خَلفِ کُلِّ مَنبَرٍ مَکسُور / سَیَخرُجُ الحَجّاجُ ذاتَ لَیلَة... / یَخرُجُ المَنصُور... / ... / رِجَالُنا یَأتُونَ دُونَ

www.SID.ir

www.SID.ir

مُوعِد / فِی غَضَبِ الرَعدِ... وَزَخّاتِ المَطَر / یَأتُونَ فِی عِبادَة الرَسُول.../ أَو سَیفِ عُمر .../ .../ بَاقُونَ فِی شِعرِ امرِئ القِیسِ وَفِی شِعرِ أَبِی تَمّام»(قبانی، ۱۹۸۶م: ۱۶۹ـ۱۸۲)

ثمّ یشیر إلی الأسطورة الّتی لم تأتِ بعد مثل الدجّال الیهودی:

«سَوفَ یَمُوتُ الأَعوَرُ الدَجّال / سَوفَ یَموتُ الأَعورُ الدَجّال»(قبانی، ۱۹۸۶م: ۱۸۶)

أمّا فی قصیدة حوار مع أعرابی أضاء فرسه فیقول:

«نَنَامُ عَلَی هَجوِ جَرِیر... / وَنُفِیقُ عَلَی دَمعِ الخَنسَاء / ... / نَتَرَقَّبُ عَنتَرَة العَبَسِی... / ... / نَقرَأُ مَعرُوفَ الإسکَافِی / ... / وَنَقرَأُ أَخبَارَ النُدَمَاء / وَنُکاتَ جُحا... / وَرُجُوعَ شَیخ / وَقِصَّة داحِسٍ وَالغَبرَاء»(قبانی، ۱۹۸۶م: ۲۱۷ـ۲۱۹)

کذلک یعتمد علی الشخصیات التاریخیّة المستمدّة من التراث ویقول:

«مَازالَ یَکتُبُ شِعرَهُ العُذرِیَ قِیسٌ / وَالیَهُودُ تَسَرَّبُوا لِفَراشِ لَیلَی العَامِرِیَّه»(قبانی، ۱۹۸۶م: ۲۳)

ثمّ یستفید من شعراء قدماء ویرمز منهم:

«هَرَبتُ مِن عُمَرو بنِ کُلثُوم / وَمِن رَائِیَّة الفَرَزدَقِ الطَویلَه / ... / وَمِن قِفَا نَبکِ... / وَمِن عِبَادَة الأَحجَار... / حَاوَلتُ أَن أُفَکَّ عَن طَراوَدَة حِصَارَهَا»(قبانی، ۱۹۸۶م: ۳۰۴، ۳۰۵)

۱۵. أمله إلی المستقبل

جوهریّة رسالة الأدیب وإیجابیتها هی الاتّجاه مع المجتمع لبناء مستقبل أفضل للجماهیر ثمّ إنّ الأدباء هم مهندسو النفس البشریّة ولذلک لا بُدّ لهم من رؤیة مستقبلیّة واضحة لما یجب أن یکون. لذلک یأتی تفاؤل هذا الأدب الّذی تؤمن بانتصار الإرادة الجماهیریّة الّتی تتّجه دوماً فی طریق الخیر والحقّ وتتمکّن من إعادة بناء المجتمع الجدید نهائیاً وهذا مع تشاؤمه من الوضع الحالی المأساوی للمجتمع وهکذا کان نزار فی أشعاره السیاسیّة:

«وَأَصرُخُ: یَا أَرضَ الخُرَافَاتِ... إحبِلِی/ لَعّلَ مَسِیحَاً ثانِیَاً... سَوفَ یَظهِر...» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۳۹۰)

www.SID.ir

www.SID.ir

یقول فی قصیدة أخری کلاماً یشعر بالأمل إلی المستقبل:

«لا تَسکُرُوا بِالنَصر / إذا قَتَلتُم خَالِداً / فَسَوفَ یَأتی عُمَرو / وَإن سَحَقتُم وَردَة / فَسَوفَ یُبقِی العِطْر...» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۱۶۹)

فکذلک فی نفس القصیدة یأتی بکلمة (لن) الّتی تدلّ علی الاستقبال:

«لَن تُفلتُوا... / لَن تُفلتُوا... / فَکُلُّ بیتٍ فِیه بُندُقیَّة / مِن ضِفَة النِیلِ إلی الفُرَات / لَن تَستَرِیحُوا مَعَنا... / کُلُّ قَتِیلٍ عِندَنا / یَمُوتُ آلافاً مِن المَرّات...» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۱۷۴)

ثمّ یتهدّد بنصر العرب القادم وشدّة قسوتهم فی الثأر:

«لِمَن قَتَلتُم فِی فِلسطِینَ صِغَارٌ سَوفَ یَکبُرُون / لِلأرضِ... لِلحَارَاتِ... لِلأَبوابِ... أَولادٌ سَیَکبُرُون / وَهُؤلاءِ کُلُّهُم... تَجَمَّعُوا مُنذُ ثَلاثِینَ سَنَه / ... / وَهُؤُلاءِ کُلُّهُم... / فِی أَیِّ... أَیِّ لَحظَة / مِن کُلِّ أَبوابِ فِلسطِینَ سَیَدخُلُون/.../ سَوفَ یَمُوتُ الأَعوَرُ الدَجَّال / وَنَحنُ بَاقُونَ هُنَا» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۱۸۴، ۱۸۶)

ثمّ یشتدّ أمله هذا فی قصیدته الملغمة «هوامش علی دفتر النکسة»:

«یَا أَیُّهَا الأَطفَالُ: / مِن المُحِیطِ لِلخَلِیجِ أَنتُم سَنَابِلُ الآمَال/ وَأَنتُم الجِیلُ الّذی سَیَکسِرُ الأَغلال / ... / یَا أَیُّهَا الأَطفَال / یَا مَطَرَ الرَبِیعِ یَا سَنَابِلَ الآمَال / أَنتُم بُذُورُ الخِصبِ فِی حَیَاتِنَا العَقِیمَه / وَأَنتُم الجِیلُ الّذی سَیَهزِمُ الهَزِیمَه» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۹۶ و۹۸)

۱۶. الموسیقی الداخلیّة وتحویل القصیدة من وحدة الوزن إلی دفقة شعوریّة

قد تکلّمنا سابقا عن العلاقة بین الواقعیّة وشعر الحرّ فنبسّط الکلام من الآن فصاعداً عن المیزات المشترکة بین هذین الحرکتین فنبدأ بالموسیقی الداخلیّة للقصیدة فی شعر نزار السیاسی ونأتی بنماذج من شعره تدلّ علی هذا الموضوع مع علمنا بأنّ أکثر شعر نزار الّذی أوردناه سابقاً أم لم نورده یمکن أن یکون مثالاً لهذا القسم وما بعده فلذلک کلّما نقول ونذکر من الأشعار علی سبیل التمثیل فحسب؛ أمّا عند نزار فهو یعتمد علی موسیقی القصیدة الداخلیة ویقسم القصیدة إلی مقاطع شعریّة یمثّل کلّ واحدٍ منها دفقة شعوریّة تبتدأ وتنتهی حسب متطلّبات المعنی وتحویل موسیقی القصیدة من عمود الشعر

www.SID.ir

www.SID.ir

و وحدة الوزن إلى وحدة نغمة موسيقيّة موقّعة تتكّرر حسب الذفقة الشعورية والجو النفسی طولاً وقصراً وتسمّی التفعيلة:

«يَا قُدسُ يا مَنَارَة الشَرائع / يَا طِفلَة جَمِيلَة مَحرُوقَة الأَصَابِع / حَزِينَة عَينَاک يَا مَدِينَة البَتُول / ... / يَا قُدسُ يا مَدِينة الأَحزَان / يَا دَمعَة كَبِيرَة تَجُولُ فِی الأَجفَان / مَن يُوقِفُ العُدوان؟» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۱۶۲، ۱۶۳)

ثمّ نری موسيقی ناتجة من تكرار ضمير(نا):

«أَتَينَا إليکَ بِعَاهَاتِنا / وَأَحقَادَنَا... وَانحِرَافَاتِنَا / إلى أَن ذَبَحنَاکَ ذَبحَاً / بِسَيفٍ أَسَانَا / فَلَيتَکَ فِی أَرضِنَا مَا ظَهَرتَ... / وَلَيتَکَ كُنتَ نَبیَّ سِوانَا...» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۳۶۱)

ثمّ نری الموسيقيّة الداخليّة فی قصيدة «الكلمات بين أسنان رجال المخابرات» حيث يكرّر الأسلوب الخبريّة بفعل ماضٍ والإتيان بجملة حاليّة بعدها فيقول:

«حَاوَلُوا أَن يُمسِكُونِی/ وَأَنَا أَرهَنُ فِی السُوقِ السِياسِی ثِيابِی / حَاوَلُوا أَن يَضبِطُونِی / وَأَنَا أَقبَضُ أَتعَابِی عَلَی بَيتٍ مِن الشِعرِ كَتَبتُه/ ... / لَم أَكُن يَوماً مِن الأَيَّامِ طَبَّالاً / وَلا زَوَّرتُ شِعرِی وَشُعُورِی» (نقلاً عن: تاج الدين، ۲۰۰۱م: ۱۶۱)

۱۷. الوحدة العضويّة والوحدة الموضوعيّة

من ميزات الواقعيّة، الوحدة العضويّة بحيث صارت القصيدة عندهم بنية حيّة متآلفة من مقاطع أو جزئيات تعبّر عن موقف نفسی واحد ويتّحد المضمون مع الشكل بكلّ عناصره بحيث لا يكون هنالک أی توتّر بينهما وهكذا أشعار نزار كما فی قصيدته «مرسوم بإقالة خالد بن الوليد» حيث يبدأ كلّ مقطع بعبارة «سرقوا منّا الزمان العربی» أو «يا صلاح الدين» حتی نهاية القصيدة وفی المقطع الخامس مثلاً نری يبدأ بـ «يا صلاح الدين»:

«يَا صَلاحَ الدّين... / هَل تَسمَعُ تَعلِيقَ الإذَاعَات؟ / وَهَل تُصغِی إلى هَذَا البُغَاءِ العَلَنِی / أَكَلُوا الطَعَامَ... وَبَالُوا / فَوقَ وَجهِ العُنفُوانِ العَرَبِی/ مَا الّذی يَجرِی عَلَی المَسرَح ؟ / مَن يَجذِبُ خِيطانَ السِتَارِ المَخمَلِی؟ / مَن هُوَ الكَاتِبُ؟ لا نَدرِی / مَن المُخرِجُ؟ لا

www.SID.ir

www.SID.ir

نَدری / وَلا الجُمهُورُ یَدری... یَا بُنیّ / ... / یَا صَلاحَ الدّین... / مَاذَا تَنفَعُ الکَلِمَة فِی هَذَا الزَمَانِ البَاطِنِی / وَلِمَاذَا نَکتُبُ الشعرَ... وَقَد / نَسی اللهُ الکَلامَ العَرَبِی» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۴۹۷، ۴۹۸)

کما نری الوحدة العضویّة فی هذه القصیدة نری الوحدة الموضوعیّة فیها حیث لا یتکلم الشاعر فی هذه القصیدة إلا عن موضوع واحد یتکّون من عدّة تفاصیل کما فی قصیدته «طریق واحد»:

«أَصبَحَ عِندِی الآنَ بُندُقِیَّه/ إلی فِلسطِینَ خُذُونِی مَعَکُم/ یَا أَیُّها الرِجَال / أُرِیدُ أَن أَعِیشَ أَو أَمُوتَ کَالرِجَال / أُرِیدُ أَن أَنبُتَ فِی تُرابِهَا... زِیتُونَة أَو حِقلَ بُرتُقَال / أَو زَهرة شَذِیَّه... / قُولُوا لِمَن یَسأَلُ عَن قَضِیَّتِی... / بَارُودَتِی صَارَت هِیَ القَضِیَّه... / .../ أَصبَحُ عِندِی الآنَ بُندُقِیَّه / أَصبَحتُ فِی قائِمَة الثُّوار / أَفتَرِشُ الأَشواکَ وَالغُبَار/ وَأَلبَسُ المَنِیَّه... / مَشِیئَة الأَقدَارِ لا تَرِدُّنی/ أَنَا الّذی أُغَیِّرُ الأَقدَار» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۳۲۹)

وهکذا یتلاحم الشکل والمضمون بأن یکون الشکل الفنّی تابعاً للمضمون وخادماً له وبمقدار ما تتوافر هذه الخصائص الفنیّة فی النص الواقعی، یرقی ویرتفع.

۱۸. التحرّر من أسر القافیة

کذلک کان الأدب الواقعی حیث تحرّر من قیود القافیّة والإتیان به حیث یتطّلبها المعنی وترک تکرار تلک القاعدة الرتیبة الّتی تجعل دائماً الشاعر فی مضیق:

«أَلاحَظتِ کَیفَ اکتَشَفنَا طُفُولَتَنا / بَعدَ ستِّ سنین؟/ وَکَیفَ رَجَعنَا أَخیراً لِمَملَکَة العِشقِ وَالعَاشِقین / أَأَحسَستِ مِثلِی... بِأَنَّ الرِّجَالَ المَظَلّاتِ کانُوا / یَحُطُّونَ مِثلَ الحَمَامِ عَلَی رَاحَتَینَا / وَأَنَّ جُنودَ المَغَاوِیرِ کَانُوا یَمُرُّونَ فَوقَ عُروقِ یَدَینَا.../ أَلاحَظتِ کَیفَ نَثرَنَا عَلَیهِم / عُقُودَ البَنَفسِجِ وَالیَاسَمِین؟ / وَکَیفَ رَکَضنَا إلیهِم / وَکَیفَ انحَنَینَا / أَمامَ بَنَادِقِهِم خَاشِعِین» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۴۵۲، ۴۵۳)

حیث ترک قواعد علم القافیة القدیم واختار شکلا جدیداً منها حیث نری القافیة تتّحدد فی «سنین، العاشقین، الیاسمین، خاشعین» ثم اتّحاد فی القافیة بین «طفولتنا،

www.SID.ir

www.SID.ir

راحتينا، يدينا، انحنينا» أی قافيتين فی مقطع واحد من القصيدة ثمّ ليس هناک ترتيب فی الإتيان بالقوافی بل نراها حيث يتطلبها المعنی. ثمّ نری نفس الطريق فی قصيدته «القدس»:

«يا قُدسُ... يَا مَدِينَتِی / يَا قُدسُ... يَا حَبِيبَتِی / غَدَاً... غَدَاً ... سَيَزهِرُ اللِيمُون / وَتَفرُحُ السَنَابِلُ الخَضرَاءُ وَالغُصُون / وَتَضحُکُ العُيُون / وَتَرجِعُ الحَمَائِمُ المُهَاجِرَه / إلی السُقُوفِ الطاهِرَه / وَيَرجِعُ الأَطفَالُ يَلعَبُون / وَيَلتَقِی الآباءُ وَالبَنُون / عَلَی رَباکِ الزَاهِرَه... / يا بَلَدِی... يَا بَلَدَ السَلامِ وَالزِيتُون...» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۱۶۴)

حيث نری القافية المشترکة بين «مدينتی وحبيبتی والليمون، الغصون، العيون، يلعبون، البنون، الزيتون» ثمّ بين «المهاجره، الطاهره، الزاهره» وکلّ هذا فی مقطع واحد من القصيدة فما بالک بالنسبة إلی کلّ القصيدة، لکی يتّضح الأمر بشکل أحسّ نری بنموذج آخر:

«لَن تَجعَلُوا مِن شَعبِنَا / شَعبَ هُنُودٍ حُمْرْ / فَنَحنُ بَاقُونَ هُنا... / فِی هَذِهِ الأَرضِ الّتی تَلبسُ فِی معصَمِهَا / أُسوَارَة مِن زَهْر... / فَهَذِهِ بِلادُنَا / فِيهَا وُجِدنَا مُنذُ فَجرِ العُمر / فِيهَا لَعِبنَا... وَعَشَقنَا... / وَکَتَبنَا الشِعر...» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۱۶۷، ۱۶۸)

حيث نری القافية المشترکه بين «شعبنا، هنا، معصمها، بلادنا، عشقنا» ثمّ بين «حُمر، زَهر، عُمر، الشعر».

۱۹. عدم تساوی الشطرين فی عدد التفاعيل

عدم تساوی الشطرين فی عدد التفاعيل وعدم التقيّد بالاتيان بعدد معين من التفاعيل فی البيت أو السطر الشعری ثمّ ترک عمود الشعر العربی وجعل البيت الشعری ذی الشطرين المتساويين جانباً والاعتماد علی السطر الشعری وعلی التفعيلة بشکل أخصّ، کلّ هذا من سمات الأدب الواقعی أمّا بالنسبة إلی شعر نزار يمکن أن يکون کلّ شواهد ذکرناها حتی الآن مثالاً لهذا القسم ولکن لمزيد من البحث نورد عدّة نماذج أخری من شعره السياسی تؤکّد هذا الجانب من شعره:

www.SID.ir

www.SID.ir

«قُومِی مِن نَومِک... / یَا سُلطَانَة، یَا نَوّارَة، یَا قِندِیلاً، مُشتَعِلاً فِی القَلب / قُومِی کَی یَبقَی العَالَمُ یا بِیرُوتُ / ونَبقَی نَحنُ... / وَیَبقَی الحُبّ... / قُومِی... یَا أَحلَی لُؤلُؤة أَهداهَا البَحر / الآنَ عَرَفنَا مَا مَعنَی... / أَن نَقتُلَ عُصفُورَاً فِی الفَجر» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۵۸۳)

حیث نری السطر الأول قصیراً ثم الثانی طویلاً ثمّ الثالث متوسّطاً ثم الرابع والخامس قصیراً کما فی:

«سَامِحِینَا... / إن تَرَکنَاک تَمُوتِینَ وَحِیدَه... / وَتَسَلَّلْنا إلی خَارِجِ الغُرفَة نَبکِی کَجُنُودٍ هَارِبِین / سَامِحِینَا... / إن رَأَینَا دَمَک الوَردِیَ یَنسَابُ کَأَنهَارِ العَقِیق / وَتَفَرَّجنَا عَن فِعلِ الزِنَا... / وَبَقَینَا سَاکِنِین...» (قبانی، ۱۹۸۶م: ۶۱۱)

حیث الصورة أغنی أن نتلفظ بشیء.

وهکذا نری تلاحم الشکل والمضمون بأن یکون الشکل الفنّی تابعاً للمضمون ونری تجدیداً فی مستویین الشکل والمضمون ثمّ رأینا اللغة المأنوسة الواضحة البعیدة عن التوتّر والتکلّف من جهة وعن الإسفاف والابتذال من جهة أخری (لغة البساطة المستحیلة) واختیار اللغة السهلة المتداولة الّتی لا تقیم لأدب یؤدّی الأهداف دون حسّ مرهف وأداء فنی. فالمضمون والشکل متضامنان لا ینفصل أحدهما عن الآخر ثمّ براعته فی الوصف والتصویر علی المستویین الداخلی والخارجی ونقل القارئ إلی عوالم جذّابة ممتعة مثیرة للدهشة وحبّ الإطلاع.

أمّا عن إنسانیّة الأدب وعالمیّته الّتی تؤمن بوحدة قضایا الشعوب و وحدة نضالها فی سبیل التحرّر الاجتماعی والسیاسی ورفض أشکال الاستعمار والاستغلال والفردیّة والتمییز العنصری والدینی فقد نکتفی بقوله واعترافه نثراً یقول: «إنّنی لا أنکر أنّ الإنسانیّة کلّها تعانی أزمة مصیر وأنّ جیلنا هو جیل الغبار الذرّی والهواء الملّوث والعُقد الفرویدیّة المیتة والجیل المصلوب بلاصلیب، المشوّه من داخله منذ ولادته. إنّنی أعرف هذا ولکنّنی أعرف أیضاً أنّ للإنسان العربی أزماته الخاصة وأزمات واقعیّة تتّصل بالرغیف وبالداء وبالعلم وبسرطان إسرائیل أکثر ممّا تتّصل بالمجرّدات الفلسفیّة الّتی لا تلتفت إلیها الشعوب إلا وهی فی قمّة شبعها وبطرها الفکری» (قبانی، ۱۹۹۷م: ۵۳، ۵۴)

www.SID.ir

www.SID.ir

النتيجة

بعد بحثنا هذا عن شعر نزار السياسی من منظار الأدب الواقعی استنتجت هذه النتائج:

١. نزار ما كان دائماً سجيناً فی مقاصير النساء وأسيراً فی براثن شعر المرأة بل اهتمّ نحو هموم المجتمع العربی وقضاياه.

٢. شعر نزار السياسی شعر واقعی يمثّل بوضوح سمات هذا المكتب الأدبی.

٣. تأثر نزار بالمسار الشعری بعد الحرب العالمية الثانية وأثّر فيه.

المصادر والمراجع

تاج الدين، أحمد. ٢٠٠١م. *نزار قبانی والشعر السياسی*. الطبعة الأولی . القاهرة: الدار الثقافيّة للنشر.

جيوسی، الخضراء سلمی. ٢٠٠١م. *الاتجاهات والحركات فی الشعر العربی الحديث*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

حمود، محمد العبد. ١٩٩٦م. *الحداثة فی الشعر العربی المعاصر بيانها ومظاهرها*. الطبعة الأولی. بيروت: الشركة العالمية للكتاب.

خفاجی، محمد عبدالمنعم. ١٩٩٢م. *دراسات فی الأدب العربی الحديث*. ج١. الطبعة الأولی. بيروت: دارالجيل.

شراد، شلتاغ عبود. ١٩٩٨م. *تطور الشعر العربی الحديث*. الطبعة الأولی. عمان: دار مجدولای للنشر.

عباس، إحسان. ١٩٧٩م . *اتجاهات الشعر العربی المعاصر*. الكويت: عالم المعرفة.

عريض، ابراهيم. ١٩٩٦م. *الشعر وقضيته فی الأدب العربی الحديث*. الطبعة الثالثة. البحرين: مكتبة فخراوی.

العشماوی، محمد زكی. ١٩٩٤م. *دراسات فی النقد الأدبی المعاصر*. الطبعة الأولی. بيروت: دار الشروق.

www.SID.ir

www.SID.ir

الفاخوری، حنّا. ۱۹۹۸م. *الجامع فی تاریخ الأدب العربی*. ج ۲. الطبعة الثالثة. بیروت: دار الجیل.

فقیه، یونس أحمد. ۱۹۹۸م. *ملامح الالتزام القومی فی شعر نزار قبانی*. الطبعة الأولی. بیروت: دار برکات للطباعة والنشر.

قبانی، نزار. ۱۹۸۶م. *الأعمال الشعرّیة الکاملة*. الطبعة الرابعة. بیروت: منشورات نزار قبانی.

ـــــــــ . ۱۹۷۹م. *الأعمال الشعرّیة الکاملة*. ج ۱ و ۲. بیروت: منشورات نزار قبانی.

ـــــــــ . ۱۹۹۷م. *الأعمال النثرّیة الکاملة*. ج ۷. بیروت: منشورات نزار قبانی.

مرزوق، حلمی. ۱۹۸۲م. *تطوّر النقد والتفکیر الأدبی الحدیث*. بیروت: دار النهضة العربیّة.

مندور، محمد. لاتا. *النقد والنقاد المعاصرون*. القاهرة: مکتبة نهضة مصر.

www.SID.ir